طقش مغربي

أحمد المنسي

طقش مغربي
أحمد المنسي
تدقيق لغوي : أحمد نناوي
تصميم الغلاف : عبير محمد
رقم ايداع: 3856/2020
ترقيم دولي: 978-977-6810-01-3

دار فصلة للنشر والتوزيع
العزيزيه - منيا القمح - مصر
٠٠٢٠١٠٦٧٠٠٠٧٠١
fasla.pub@gmail.com
Www.FaslaPub.Com

الطبعه الأولي يناير ٢٠٢٠

طقش مفربي

أحمد المنسي

فصلة
للنشر و التوزيع
Fasla Publishing & Distribution

إهداء

إلى أول من علّمنى أمسك بالقلم

وقال لى: اكتب...

إلى روح لم تفارقنى...

رغم رحيل جسدها

إلى أبى رحمة الله عليه.

أحمد المنسى

المقدمة

إذا كنت تقرأ هذه المقدمة فهذا معناه أن فضولك أوحى لك أن تعرف ما الطقش المغربي؟ وما المقصود من تسمية الرواية بهذا الاسم؟

أما إذا كنت تعرف ما هو الطقش المغربي فأنت لديك دافع أقوى للقراءة وتدور بذهنك عدة أسئلة وسأجيب على كل أسئلتك عندما تشرع فى قراءة هذه السطور.

ولكن أولا دعنا نعرف ما لم يعرف ما الطقش المغربي وما مكوناته؟ واستخداماته؟ وأين يوجد؟

الطقش المغربى

بخور... نعم بخور يستخرج من إحدى النباتات الجبلية التى تزرع تحديدًا فى جنوب المغرب فى منطقة "تفروات".

تلك النبته تعتبر من أندر أنواع النباتات الموجودة بالمغرب، كما أن عملية تحضير الطقش المغربى عملية تستلزم الكثير من المجهود والصبر، ويأخذ كمية من صمغ تلك النباتات ثم يتم تكوينها على شكل حبات دائرية، ويستخدم بخور الطقش فى العديد من الأغراض من بينهم الأعمال الروحانية، كما يستخدم فى التبخير أثناء استخراج الكنوز وفك الدفائن وتحضير الجان وتسخيره، لذا فإن سعره غالٍ جدًا جدًا قد يصل الجرام منه إلى ألف يورو، إن وجد.

ولذلك فهو يستخدم كطلب تعجيزى من الدجالين وغيرهم ممن يدعون السحر والشعوذة وعندما يفشل الزبون فى الحصول عليه يلجأ إلى ذلك المشعوذ لياخذ هو المبلغ ويحصل عليه بمعرفته وبذلك يكون حصل على مبلغ ضخم قبل أن يشرع فى دجله، وقد

تعد هى الخطوة الأولى فى النصب على الزبون فغالبًا سيطلب ما لا يقل عن ١٠ جرامات إلى ٤٠ جراما؛ أى ما يبلغ من ١٠ آلاف يورو إلى ٤٠ ألف يورو وهو مطلب ضرورى للدجال أو المشعوذ كى يبدأ فى أعمال السحر.

السحر

ما هو السحر؟

يقول العلماء سُمى سحر لأن أسبابه خفية لأن السحرة يتعاطون أشياء خفية يتمكنون بها التخيل على الناس والتلبيس عليهم والتزوير على عيونهم وإدخال الضرر عليهم وسلب أموالهم، لذلك يقول الناس إن آخر الليل ساحر لأنه يكون عند غفلة الناس وقلة حركتهم، وقد عرفه الشرع على أنه ما يتعاطاه السحرة من التخييل والتلبيس الذى يعتقد المشاهد أنه حقيقة وهو ليس بحقيقة.

كما قال الله سبحانه وتعالى عن سحرة فرعون

"قَالُوا يَا مُوسَى إما أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى (٦٥) قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أنها تَسْعَى (٦٦) فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى (٦٧) قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى (٦٨) وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى(٦٩) "سورة طه"

وفى وقت من الأوقات سيطرت فكرة السحر والسحرة على عقلى وتفكيرى وأخذت وقتا طويلا أفكر فى هذه المسألة وانشغلت كثيرا به، كيف لبنى آدم ـــ إنسان مثلى ومثلك ــ القوة والمقدرة على قراءة بعض الطلاسم والتراتيل فيحضر خادم من الجان يأتى من العدم ويتجسد أمامه، ليس هذا فحسب بل ويسخره ويأمره بفعل ما يريد فيطيع الخادم وينفذ ما أمره به، حاولت مرارًا وتكرارًا أن أقنع عقلى بذلك ولكنى لم أوفق ولا مرة فى ذلك، ولكن السحر حق وقد ذكر فى القرآن الكريم، إذن فهو موجود، يا إلهى كيف هذا التناقض الجلى الذى أعيش فيه فكان لزامًا علىّ لفك هذا الاشتباك الفكرى أن أرى بعينى كى أستطيع الحكم بإنصاف فى الأمور فاقتحمت ذلك العلم والعالم وقمت بمرافقة شخص يدّعى أنه شيخ المشايخ ورافقته كما رافق موسى الخضر ولكنى استطعت معه صبرًا لأرى ما لم أتخيل! إن ما رأيت كان أكبر من استيعابى فى البداية، ولكن من عجائب ما أرى واحدة تلو الأخرى، حاولت أن أتسم بضبط النفس والخروج سريعا من مرحلة الإعجاب والانبهار بما يصنع لأرى الحقيقة، والحقيقة أن هذا الشخص الذى رافقته مدة لا تقل عن ٣ سنوات كما ظله كان له عظيم الفضل فى أن أرى الحقيقة، ويا ليتنى أستطيع أن أذكر اسمه وأشكره فلولاه ما كان "طقش مغربى".

فى أحد أحياء القاهرة القديمة منطقة تخصصت فى بيع الأجبان بالجملة إن مررت بتلك المنطقة تستطيع أن تعرف ذلك دون أن يخبرك أحدهم واضح من الصفائح الصاج المرصوصة أمام المحلات ذات الأرفف والثلاجات الخشبية العتيقة كما أنك ستشم رائحة الشرش المسكوب أرضًا نتيجة تسريب فى الصفائح بفعل البارومه على رأس الشارع بيت مكون من أرضى وثلاثة طوابق؛ الأرضى محلات كتب عليها تجارة أسعد نيازى وأولاده لبيع المواد الغذائية بالجملة والتجزئة.

أسعد نيازى هو صاحب هذا البيت ويقطن بالطابق الأول فوق محلاته ويسكن معه ابنه الأكبر، والذى أصبح يقوم بكل أعماله وقائم على إدارة تجارته ومعه توكيل منه فى كل شىء بعد ما بلغ من العمر عاتيه، حيث إن أسعد نيازى له من الأبناء أربعة ولدان وبنتان، عاطف الابن الأكبر متزوج ولديه ثلاثة أبناء ويقيم معه فى نفس الشقة بعد موت والدته لتقوم زوجته "هناء" بخدمة أبيه كما ادعى، عاطف يحب المال حبًا جمًا رغم أن لديه الكثير ومستحوذ على كل شىء ولكن نفسه لا تشبع حتى اسمه عاطف لم يكن له نصيب منه فهو بخيل حتى

فى مشاعره نحو الجميع بما فيهم أولاده وزوجته وقد تجاوز الأربعين من العمر. يليه فى الترتيب "حنين" فى الثلاثينات من عمرها متزوجة من صالح أحد العاملين فى محلات أبيها وذراع عاطف اليمين وعيناه فى غيابه وماسك حركة البيع فى المحل وواكلها والعة يعشق الهلس والمزاج ومن عاشر القوم، أصبحت حنين مثله تماما قائمة على راحته ومزاجه حتى تحافظ على بيتها وزوجها، كل ليلة بيرة وكباب وموسيقى ورقص ومع ذلك معها من الأبناء خمسة جميعهم فى أعمار متقاربة، تسكن فى الدور الثالث والأخير. تليها فى الترتيب ياسمين تعدت الخامسة والعشرين تزوجت بعد قصة حب من زميل لها فى الجامعة يدعى هانى كان قد رُفض عدة مرات فى البداية من عاطف الأخ الأكبر لأنه كان يرى هانى شخصا غير مناسب للزواج من أخته فموارده المادية شحيحة ووالده موظف بالمعاش ليس لديه أى املاك فلا حسبًا ولا نسبًا ولكن مع تمسك ياسمين به واستعطافها لوالدها ضغط على عاطف ليس هذا فحسب بل وساعدهم ماديا وتكفل بالفرح والعفش وكانت لهانى شقة قد استأجرها بعيدًا كانت شقة الزوجية. أما الأخ الذى يليها فى الترتيب وهو أصغر من فيهم حازم يقوم بتشطيب شقته فى الدور الثانى التى سيتزوج فيها عن قريب، هو فى أوائل العشرينات من عمره يعمل فى محلات أبيه وتحت إمرة صالح زوج أخته ودائما هو الواسطة بينه وبين أخيه الأكبر الذى يجله ويحترمه ويخاف منه أكثر من أبيه رغم أنهما من المفروض متساويان فى الحقوق، إلا أن عاطف هو صاحب الكلمة واليد العليا،

أما حازم فهو غير حازم بالمرة.

بعد خمس سنوات من زواج ياسمين حاولت فيها جاهدة إنجاح هذا الزواج وأخفت كل مشاكلها واحتياجها عن أهلها وكانت تظهر دائما وكأنها سعيدة ولكن فى النهاية باءت كل محاولاتها بالفشل وعادت مطلقة ومعها طفلة أربع سنوات هى نتاج هذه التجربة. ولكنها فوجئت بجحود وجمود شديد من أخيها الأكبر الذى كان لا بد أن يكون الصدر الحنين والظهر والسند فى هذه الأزمة التى تمر بها، ولكنه لا ينسى لها أنها تحدته وصممت على رأيها وفى تقديره أنها أخذت أكثر من حقها فى زيجتها وهناك شىء من الحقد الدفين أنها كانت دائما تحظى باهتمام أبيها، لأنها الوحيدة التى أنهت التعليم الجامعى، لم تتحمل ياسمين أن تجلس معه فى نفس الشقة بعد عدة صداقات بينهم آخرها كان قد عرض عليها ان تتزوج من أحد العاملين لديه بالمحل أرمل ولديه ٣ أبناء أحدهم يقترب من عمرها ويكبرها بعشرين عاما كى يتخلص منها، ولكنها رفضت رفضًا قاطعًا فزادت من عناده أكثر وصعدت الدور الأخير لتقيم مع أختها حنين زوجة صالح، ولكنها لم تستطيع الإقامة معها طويلا فزوجها رجل صاحب مزاج يحب الشرب والرقص وأن تستقبله زوجته كل ليلة بقميص نوم شكل وهى مطلقة حديثا لم يراعوا حتى مشاعرها أو الكبت الجنسى الذى باتت فيه ياسمين بعد انفصالها عن رجلها، فكل ليلة ياسمين وابنتها تحبس مع أبناء أختها داخل غرفة لا تستطيع أن تخرج حتى

للحمام، كما أنها تخشى على ابنتها أن ترى شيئا تسأل عنه، فكانت بنت ياسمين "فرح" ذكية للغاية وكثيرة التساؤلات فهى فى عمر تبنى قاعدة بيانات ومعلومات ومعرفة، عندما تدق التاسعة مساءً تدخل الغرفة لا تستطيع الخروج إلا بعد أن ينزل صالح للعمل فى العاشرة صباحا، هذا غير أن أصواتهم أثناء الرقص والمداعبة تصلها، ليس هذا فحسب بل إنها أكثر من مرة تفتح عنيها تجد صالح زوج أختها يتفرج عليها وهى نائمة أو تشعر بيده تتحسس جسدها وهى نائمة وفى كل مرة يتحجج بسبب مختلف لدخوله، إما أنه يطمئن على أبنائه أو كان يغطيهم خوفا من هواء التكييف عليهم مما أثار حفيظتها، كما أن نظراته لها هى نظرة رجل يشتهى أنثى، وحتى لا تحدث مشاكل قد تصل إلى خراب البيوت فقد أخفت كل تلك الأمور عن أختها التى تنام إلى منتصف اليوم بعد المجهود التى تمارسه ليلًا وتركت الحمل على أختها ياسمين التى شعرت وكأنها شغالة تعمل بلقمتها هى وابنتها وهذا ما لم ترض عنه مطلقا فهى لها مثل ما لهم ولا بد أن يكون لها شقة فى بيت أبيها خاصة بها وابنتها وبناءًا عليه توجهت إلى أبيها بعدما نزل عاطف للعمل وشرحت له كل ما مرت به من أشياء أوجعتها وأفسدت نفسيتها وأنها تخشى على ابنتها الصغيرة أن تتدمر نفسيتها أو تصبح غير سوية نفسيا أو تنظر إلى أبناء خالها وخالتها على أنها أقل منهم فيولد بداخلها حقد وغل، فتعاطف معها والدها للغاية ومع حفيدته التى لا ذنب لها فيما يحدث فوعدها أنه سيتفاوض مع عاطف بشأن أن يبنى لها شقة خاصة بها فوق أختها

حنين ولو نصف المساحة، المهم أن تنعم بحياة خاصة هادئة حتى تستطيع أن تربي بنتها كما تريد وأراد الأب أن يهدئ من روع ابنته فقام بالاتصال بعاطف يخبره أنه يريده فى موضوع مهم بعدما ينهى عمله فاطمأنت ياسمين إلى أن أباها أكيد سيوجد لها حلا، ولكن عاطف علم من زوجته أن ياسمين كانت عند أبيه واختلت به طويلا داخل غرفته فتأكد أن الموضوع الذى يريده فيه أبوه بخصوص طلب ياسمين فتعمد التأخير حتى نام والده قبل أن يأتى، ولكنه استقيظ مبكرا وبقى متيقظًا حتى رآه يخرج من غرفته متجها إلى باب الشقة فى طريقه إلى العمل فطلبه للدخول إلى غرفته وإغلاق الباب خلفه ودار بينهم الحديث التالى:

عاطف: صباح الفل ياحاج

الأب: صباح الخير يابنى

عامل إيه وأخبارالشغل إيه؟

عاطف: والله أنا كويس يا حاج طول ما أنت بخير

الأب: تسلم وتعيش يابنى

عاطف: إنما الشغل يعنى مش ولا بد

الأب: إزاى دة إحنا فى موسم مدارس

يعنى المفروض السحب قوى وفيه حركة

عاطف: آه ما هو فيه سحب إنما المكسب والتحصيل بعافية شوية والحال ما عدش زى الأول.

الأب: طب إسمع يا بنى... أختك ياسمين

عاطف: «مقاطعًا إياه» يادى ياسمين اللى ما وراناش غيرها!

مالها ياحاج؟

الأب : تعبانة هى وبنتها ومش مرتاحين

عاطف: ونريحها إزاى الست ياسمين وبنتها

الأب: نبنى لها أوضتين وصالة على أدها هى وبنتها فوق السطح تعيش فيهم.

عاطف: « مفزوعًا» نبنى إيه؟

نبنى لها... بالسهولة دى؟!

أصل أنت ياحاج بعيد عن السوق بقالك فترة الدنيا ولعت

ونبنى يعنى نشطب وتشطيب يعنى محارة وسباكة ونقاشة وسخن وبارد وطبعًا ياسمين هانم خريجة الجامعة مش أى حاجة هتعجبها ليها ذوق وعايزة تنقى والظروف ما تسمحش بالكلام دة الدنيا خربانة.

الأب: خلاص روح إسحب قرشين من حسابى بالتوكيل اللى معاك

عاطف: هو أنت ما خلفتش غير ياسمين ولا إيه

ياسمين عاشقة وبتحب جوزها وجهزها واعملها فرح وبعدها ظروفها تعبانة إديها قرشين.

وبعدها عاوزة تولد ولدها وبعدها عايزة تطلق طلقها ودلوقتى عايزة شقة إبنى لها

الأب: يا بنى ما كل واحد فيكم عايش فى شقة وعمل فرح وخلف أشمعنى هى

عاطف: عشان هى ما سمعتش الكلام من الأول ولا عملت لها كبير يا حاج وكدة هتبقى بتاخد أكثرمن حقها ودة ما يرضيش ربنا.

الأب: أومال إيه اللى يرضى ربنا يا بنى البهدلة والشحططة اللى هى فيها، ولا ناخد لها شقة إيجار برة وتسكن فيها بطولها من غير راجل هى وبنتها ونسيبها للناس تنهش فيها وأبوها عايش على وش الدنيا وإخواتها إثنين رجالة رايحين جايين فى المنطقة كدة يرضى ربنا ويرضيك.

عاطف: يابا أنا ما قولتش كدة

بس أصل موضوع البنا دة صعب أوى ومحتاج تراخيص

وحى وعداد كهرباء وهنفتح على نفسنا فاتحة.

طب أنا عندى فكرة تانية وأسرع

الأب: قول يا بنى ربنا يحنن قلبك

عاطف: عم محروس بيأجر المحلين اللى فى الحارة جوة ناخدهم ونقل فيهم البضاعة اللى فى الشقة اللى فى الأرضى وأهى أوضتين وصالة ومحندقة على أدها

الأب: بس يا بنى شقة الأرضى دى من يوم ما البيت دة إتبنى وهى مخزن. وما فيهاش مطَل ع الشارع خدناه فى المحلات وأرضيتها مسقية بالشرش من أكتر من ٤٠ سنة والدورة اللى فيها كانت سبيل للمنطقة كلها بمحلاتها

عاطف: كل دة يتظبط يا حاج.

ما فيهاش مطَل ع الشارع بس فيها شباك للتهوية ع المنور وتاخد وش والحمام يتغسل بمية نار ونركب لها قعدة جديدة ونشدها سيراميك وتفرش عفشها وتقعد

الأب: والله يا بنى لو أنت شايف أنها هتبقى كويسة...

عاطف: « مقاطعًا» هتبقى فل الفل

بس على الله تعجب البرنسيسة وتكون آخر طلباتها.

لم يترك عاطف بابًا لأى تفاوض فى الأمر وقد بثَ لها رسالة بواسطة كل أخوتها أن هذا هو خيارك الوحيد وإن لم تقبليه الآن قد تتمنين أقل منه فيما بعد.

أدركت ياسمين أنه يقصد بعد موت أبيها.

لم يكن لها أى ذنب فيما حدث لها هى وابنتها غير أنها أحبت ووثقت وحاولت لكنها لم توفق.

كان لصدامها مع أخيها شرخ فى نفسها لم تعد تلوم على طليقها الذى خذلها

فها هو أخوها يخذلها أيضًا حتى أباها خذلها بالصمت العاجز.

لم يكن أمامها هذه المرة غير أن ترضى وتصمت وتتحمل فليس لها أى حيلة وبالفعل وافقت أن تسكن فى شقة الدور الأرضى واعتبرته طرف الخيط.

إنها فقط أرادت أن تستقر وتعيد ترتيب أوراقها فكانت تفكر فى أنها ستعمل بشهادتها وحينما تتحسن أوضاعها ستنتقل إلى حياة أخرى وذلك قبل أن تصطدم بأن تلك الشهادة التى تحملها ليس لها قيمة فى سوق العمل وتحتاج إلى أن تثقلها بكورسات ودبلومات كى تجد عملا يوفر لها هى وابنتها الأمن والاستقرار والحياة الكريمة

مرت على ياسمين أيام مرعبة فى تلك الشقة أيام عصيبة للغاية

فلم يفعل أخوها ما قال، اكتفى فقط بدهان الشقة وقام بتخزينها هى وابنتها وعفشها فيها، الحقيقة أن الشقة كانت على الأكثر تصلح لأن تكون مخزنًا غير مؤهلة للسكن تمامًا ناهيك عن أنها فى منطقة يستحيل السكن فيها فى الدور الأرضى.

الشقة تحتاج إلى الكثير من أعمال التشطيب، الحوائط قد أكلتها الرطوبة ورائحة العطن تفوح منها والسباكة بأكملها تغييرها ضرورى تحتاج نسف وتغيير الحمام والمطبخ المقتطع من صالتها.

الشقة نفسها صغيرة على العفش الذى تمتلكه وهو آخر ما تحصلت عليه من تجربتها السابقة ولكن هذا هو أقصى ما استطاعت الحصول عليه من بين أنياب الجشع الذى يمتلك أخيها.

لم يستطيع أحد من إخوة ياسمين أن ينحاز لها مطلقًا فالكل ملوى ذراعه لعاطف ولا أحد يستطيع حتى التعقيب على قراراته.

كانت الأيام الأولى لياسمين وإبنتها الصغيرة فرح فى هذه الشقة أيام مرعبة جدًا وواقعًا مريرًا فقد أثر بالسلب على نفسيتهما ولكن لا سبيل للخلاص منه على الأقل فى الوقت والوضع الراهن.

ومن الأسباب التى جعلتها تتخطى هذه المرحلة أنها تعاملت مع الوضع على أنه أولى مكاسبها ولكن هذا لا يمنع أنها عانت فى البداية.

فى إحدى الليالى الأولى التى عاشتها ياسمين كانت فى ليالى الشتاء

الباردة وهذه الشقة التى تقيم فيها قد شبعت الرطوبة فى كل جدرانها لا تستطيع إغلاق النوافذ بإحكام حتى لا تتعبأ الشقة بدخان أعواد البخور المشتعل باستمرار حتى تطغى على رائحة الشرش المتمكن من المكان والعطن الناتج عن رطوبة الحوائط.

فى هذه الليلة إنقطع التيار الكهربائى عن الحى بأكمله بعد الساعة الثانية صباحًا كان الحى جميعه فى حالة سكون تامة كل المحلات مغلقة الدور الأرضى فى جميع البيوت يشع منه الظلام.

عندما تنقطع الكهرباء فى الشقة التى تقيم فيها ياسمين يستحيل أن يتحمل أن يبقى بها إنسان أكثر من دقائق معدودة لأن رائحة الجبن وشرشه ستظهر بقوة.

فى هذه الأثناء كانت ياسمين وابنتها فرح نائمتين ولكن ياسمين لم تتحمل فاستيقظت فوجدت حولها الظلام دامسا فجلست إلى جانب فرح وحاولت أن تهوى حولها ولكن صوت نقط المياه المتساقطة من عدة أماكن متفرقة فى المطبخ والحمام قد شد انتباهها ثم أورثها توترا وقلقا، هناك أصوات أخرى، وكان شخص ما يعبث فى الشباك المطل على المنور فتذكرت أنها لم تغلقه بإحكام فقط أغلقت دلفة السلك وتركت الشيش للتهوية فزاد قلقها أيضًا، هناك كل بضعة دقائق يأتى صوت خبطة «نقرة» على شىء معدنى لصوته رنَة وتتبعه صرخة تشبه أحيانًا صوت أنثى وأحيانًا أخرى صوت «عرسة».

أخذت تحسس بيديها حتى وصلت إلى موبايلها الذى للأسف ليس به كشاف ولكنها أضاءت شاشته محاولةً أن ترى حتى أمامها كى تتفقد المكان وتطمئن أن ليس هناك شيئًا يستحق القلق ولكنها كادت أن تموت من الرعب حينما خرجت إلى صالة الشقة وبضوء الهاتف الخافت وجهته فى اتجاه الشباك فرأت قطة سوداء ذات عينين ملونة واسعة تنظر إليها وحينما شعرت القطة بها وقفت على الأربعة وحدقَت النظر إليها ثم فتحت فيَها لتكشف عن أنياب حادة وبينها أسنان قصيرة كالمنشار وتصدر صوتًا مخيفًا.

حاولت ياسمين أن تتماسك وتقوم بتهويشها كى تذهب من حيث جاءت ولكنها تقول حينما فعلت ذلك وجدتها تزداد فى الحجم وحاولت مهاجمتها فهرعت من أمامها خائفة مذعورة تتخبط فى الظلام حتى عادت إلى غرفتها حيث ترقد فرح على السرير لم تشعر بشىء وعندما رفعت ياسمين الغطاء لم تجد إبنتها نائمة تحته ليس ذلك فحسب بل وجدت ثعبان كبير جداً طولاً وعرضاً ملتف حول نفسه ويتحرك فى خطوط دائرية جلده رائع ولامع للغاية فظّنت ياسمين أن هذ الثعبان قد إبتلع إبنتها ولكنها حينما إستدارت لتجرى للخارج تطلب النجدة وهى تصرخ صراخ المستنجد وجدت فرح إبنتها منكمشة فى أحد الأركان تلعب مع ثعابين أصغر حجماً من الذى فوق السرير وكأن فرح على علاقة وطيدة بتلك الثعابين التى تبدو وكأنها ولدة تلك الكبرى فتصارعت دقات قلبها وسقطت ....

سقطت ياسمين مغشياًعليها .

حاولت ياسمين أن تتماسك وتقوم بتهويشها كى تذهب من حيث جاءت ولكنها فى أحد الأركان وجدتها تلعب مع ثعابين أصغر حجمًا من التى فوق السرير وكأن فرح على علاقة وطيدة بتلك الثعابين التى تبدو وكأنها ولدة تلك الكبرى فتصارعت دقات قلبها وسقطت.

سقطت ياسمين مغشيًا عليها...

ولم تكن السقطة الوحيدة فى هذه الليلة بل سقط عاطف أيضًا ولكن فى شر أعماله وانفضح أمره.

فحينما صرخت ياسمين قبل أن يغمى عليها كان والدها قد استيقظ استعدادًا لصلاة الفجر فسمع صراخها فأيقظ البيت بأكمله وصمم الأب «أسعد» على أن صالح يحضر ابنه عاطف فهو لا تخفى عنه تحركاته فهو كاتم أسراره، مع هول الموقف اضطر صالح أن يتحدث على هاتف صديقة عاطف التى يسهر عندها كل ليلة بعدما حاول الاتصال على هاتفه عدة مرات وجده مغلقا مما أثار شك «هناء» زوجة عاطف أن هناك شيئًا مريبًا وأن زوجها على علاقة بأخرى.

كما أن هذا الشك تسلل إلى والده عندما أخبره صالح أنه فى الطريق فكيف تواصل معه رغم أن هاتفه مغلق، فإما أن يكون لديه رقم آخر لا يعلمه إلا صالح أو كان يعلم صالح أين هو ومع من تحديدًا ووصل إليه عن طريقه.

الجميع ملتف حول ياسمين التى ما زالت فى حالة ذهول لا تستطيع أن تؤكد إن كان هذا كابوسا رأته فى منامها أم حدث وقع لها بالفعل.

مما يؤكد عليه الجميع أنهم حينما دخلوا عليها وجدوها نائمة فى سريرها وأن الكهرباء لم تنقطع قط ولكن المؤكد أنها كانت تصرخ بشدة، فعلى الأقل قد سمعها والدها بنفسه.

وحينما حضر عاطف ولامه أبوه على إغلاقه هاتفه واستحالة الوصول إليه تحجج بأن الليلة كان يلبى دعوة بعض الأصدقاء، حيث إن الغد عطلة أسبوعية وأراد تغيير جو.

وأكد أنه قال لصالح أين هو ومن معه من الأصدقاء إذا استدعى حضوره أى وقت لأنه كان يخشى غلق هاتفه الناتج عن فراغ البطارية وهى الإجابة التى لم تقتنع بها هناء فقد ساورها الشك فى سلوكه، ولكنها مرت فالوقت غير مناسب.

وحينما قصّوا عليه ما حدث لم يقتنع بأى شىء مما قالوه وأعرب عن استيائه الشديد لما حدث وأن الذى تحاول أن تفعله ياسمين واضح للغاية فماذا تريد أن تقول؟ إن البيت الذى نسكن فيه منذ أكثر من ٤٠ عاما أصبح فجأة مسكونا وتظهر فيه العفاريت وعنّف الجميع بما فيهم أباه وأعلنها صراحةً أن ياسمين لن تأخذ أكثر من هذا وإن كان هناك أموال فهو من قام بكسبها من عرق جبينه ولن يتركها لأحد وحتى حق أبيه أنكره لتزداد الأمور سوءًا وتعقيدًا

وتزداد الفجوة أكثر بين الأخ وأخته وتظهر قلة حيلة الأب فهو يدفع ثمن ثقته بابنه.

فاضطر الأب إلى أن يثبت وجوده حتى لا يظهر كسيرا أمام العائلة بأكملها ويُخّيب ظن ابنته فيه ولكن رغم ما سيقوله وسيفعله، إلا أن وقوف ابنه أمامه وإظهار قسوته قد حزّ فى نفسه وقرر الآتى:

الأب: – إسمع ياعاطف... أنا بنتى مش هتبات فى الشقة دى تانى بات أنت فيها، أنا هاخدها تبات معايا لحد ما تشوفلك حل.

صالح: – خلاص ياحاج سيبها هتبات مع حنين والولاد.

الأب: – إسمع أنت وهو " أشار للإثنين عاطف وصالح" كلمة ومش هكررها بنتى هتبات فى بيت أبوها

((ثم أشار إلى ياسمين أن تمضى أمامه))

يللا يابنتى هاتى بنتك وهدومك وإمشى إطلعى أدامى

وإنتى كمان يا هناء ولا هتباتى مع جوزك

هناء:– " نظرت إلى عاطف نظرة غل وسخرية "

مش لما أعرف الأول جاى منين

هبات فى بيتى يابابا

الأب: – يللا أدامى...

ثم تسحبت خلفها حنين وحاول صالح أن يخرج مع الخارجين ولكن عاطف قبض عليه كالمخبرين واحتجزه...

عاطف: – رايح فين؟

إنت بايت معايا... مش أنت اللى طربأتها

صالح: – طب هقول لحنين تبعتلنا عشا وسجايرى والولاعة وكدة وأنا هروح فين

عاطف: – بحسب يعنى عقلك يوّزك تسيبنى لوحدى.

انصرف الجميع وبقى عاطف وصالح فى الشقة وحدهما ليكتشفا عن قرب قبح هذا المكان ولكنه لم يغير فى الأمر شيئًا بل زاد من عناد عاطف فقد تحجرت مشاعره أكثر مما هى عليه أما صالح فحاول أن يجّمل الليلة كى تمر فقد أرسلت له حنين ما لذّ وطاب من العشاء وعلبتين من البيرة ساقعين مشبّرين على حد قوله.

وقام صالح بحمل مرتبة صغيرة من الغرفة المجاورة ووضعها جنب السرير الذى من المفترض أن عاطف سينام عليه ونصب قعدته وبعد العشاء تدلّى السبَت من اتجاه شبّاك المنور به علبة سجائر صالح وبداخلها اثنان من السجائر الملفوفة وقطعة من الحشيش الخام وبعدما تناول صالح علبة السجائر والولاعة من السبَت رفعت

حنين السبَت وعاد هو إلى عاطف ليقتلا الوقت بالسيجارتين حتى يجيئهما النوم وكان بينهما الحوار التالى:

عاطف: - يعنى أنت عاجبك اللى بيحصل دة؟!

صالح: بصراحة أنت مكبر الموضوع أوى يا عاطف ومالكش حق

عاطف: - أنا اللى مكبر الموضوع

ولا هما اللى واخدينها لوى دراع

صالح: - أنا وأنت قاعدين أهو فى الشقة مش طايقين... الريحة بنت وسخة

وأنا قلتلك م الأول الشقة عاوزة تتفور كلها قلت لم الدنيا وفى أساسيات ماينفعش تتلم والأرضية كانت عاوزة تتصب وتتفرش رمل وفحم عشان الريحة دى قبل السيراميك.

عاطف: - طب والعمل إيه دلوقتى بقى؟!

صالح: - ولا تعمل أى حاجة إحنا نشرب سجارتين وماتفكرش فى أى حاجة، كدة كدة بكرة أجازة نصحى براحتنا وبعد المغربية نطلع عادى جدًا نتغدى وتشوف أبوك عاوز إيه وإعملهوله.

عاطف: - أبويا عاوزنى أسحب من حسابه فلوس وأبنى لها شقة

صالح: – طب ما هى محلولة أهى

عاطف: – محلولة إزاى يا ناصح!

ما أنت عارف إنى سحبت الفلوس من حسابه

صالح: – خلاص يبقى بالراحة وحاضر وإن شاء الله وهنعمل وربنا يسهل

عاطف: – طب وبعد كدة يا فالح؟!

صالح: – يا هتكون إتعودت أو الظروف إتغيرت

إيه دة... دة فيه سجارتين ملفوفين فى العلبة... جم منين دووول؟!

عاطف: – هتلاقيه الصبى بتاعك يامعلم

صالح: – قصدك حنين... ما بتعرفش تلف

خد مسا مسا... ما تشغلش دماغك، سيبها على الله... المهم أنت ماتحجرش خليك زى الجماعة بتوع السياسة كل يوم عندهم كلام جديد بينّسيك كلام إمبارح ولا منهم بيبطلوا كلام ولا بينفذوا كلامهم.

وكانت هذه الكلمات هى نهاية الكلام عمومًا فى هذه الليلة فقد قام كلًا منهم بإشعال سيجارة من الاثنين ولم يكملها بعد وكان فى دنيا

أخرى ما بين الموت والحياة،

نوم عميق بعقل واع يفكر ويرى ما يفكر فيه وكأنه يشاهده كمتفرج.

صالح ينام على المرتبة بينما عاطف اعتلى السرير، كلاهما يشعر وكأن بينهما حوار ولكن فى مخيلته فقط.

الرؤية مهتزة والألوان باهتة وموسيقى مزعجة

ثم انقطع الإرسال والاستقبال عند الاثنين ودخلا فى ثبات عميق...

ليرى عاطف نفسه فى المنام واقفا على أعلى درجة فى سلّم طويل جدًا حلزونى للأسفل كل عدة درجات تقف امرأة أجمل من سابقتها، جميعهن يرتدى ملابس شيفون شفافة فضفاضة واسعة تشّف أجسامهن الرائعة وشعورهن الناعمة الملونة المتطايرة كلما تقابل مع واحدة صاحبته إلى أن تصل للتى تليها فتسّلمه لها وتصاحبه الأخيرة إلى أن تصل للتى تليها وهكذا إلى أن وصل لنهاية السلم الطويل ليجد امرأة أجمل من كل السابقات فى انتظاره وهناك باب ضخم مشغول بالذهب والفضة بريقه يسحر العين ويخطف النظر...

عاطف: - أخيرًا وصلنا

وصيفة الملكة: - حمدالله على سلامتك

عاطف: - الله يسلمك

إحنا هنفضل واقفين كدة مش هندخل جوة؟!

"ويشير إلى أنه يريد أن يعبر هذا الباب الموصود الذى يعلن عن قيمة ما بداخله من شكله العظيم"

الوصيفة: – ما هو إحنا عشان ندخل على الملكة لازم تفتح الباب.

عاطف: – ودة يتفتح إزاى؟!

الوصيفة: – يتفتح بالمفتاح يا عاطف

عاطف: – أنا مش معايا مفاتيح خالص

تبدأ الوصيفة تقترب منه ببطء وتتغير تعبيراتها إلى الغضب والتذمر وتهمس إليه بغّل وغضب.

الوصيفة: – وديت المفتاح فين يا عاطف نسيته؟ إرجع هات المفتاح وتعال...

ثم تصرخ فى وجهه صرخة قوية تتحول فيها ملامحها الجميلة وشكلها الرائع المذهل إلى أشباه الشيطان الرجيم.

الوصيفة: – روووووووووووح

ليستيقظ عاطف مفزوعًا من النوم مرددًا عدة مرات وبصوت مرتفع وينخفض تدريجيًا...

عاطف: – المفتاح... المفتاح... المفتاح

وهنا يقلق صالح من النوم أيضًا ليجد عاطف يردد المفتاح فيعتقد أنه يسأله عن المفتاح. ويرغب فى أن يبحث له عنه فيرد عليه دون وعى فهو يريد إسكاته وحسب.

صالح: – نام بس أنت... ولما نصحى نبقى ندور عليه هيروح فين نام نام

ليسود الصمت مرة أخرى ويعاود الاثنان النوم ليرى صالح فى منامه أن عاطف فقد مفاتيحه ويبحثان عنها وطلب عاطف من صالح أن يدخل الغرفة الأخرى يبحث عن المفتاح داخلها، وهذه الغرفة فيها ما تبقى من عفش ياسمين بعضه فوق بعض وفى وسط الكراكيب يجلس ثعبان كبير يلبس سلسلة حول رقبته فيها المفتاح، وعندما رأى صالح فتحت فى الأرض عين صغيرة مظلمة هرب منها الثعبان بالمفتاح إلى باطن الأرض ثم أغلقت بعدما دخل فيها بأكمله، وحينما استيقظ الاثنان وحكى كلاهما رؤيته للآخر وكيف أن الرؤيتين مكملتين لبعضهما مع تشابه رؤية الثعبان الكبير الضخم فى منام صالح وياسمين من قبله ذهب تفكيرهم أن فعلًا هذه الشقة فيها شىء غير طبيعى وأن هذه الأحلام ما هى إلا دليل أو علامة لشىء أكيد يجب معرفته.

ولكن أولًا عليهم أن يجدوا من يقصّوا عليه رؤياهم ويفسرها

لهم...

«الشيخ على» هو أحد أقدم قاطنى هذا الحى فى أوآخر السبعينات من عمره ولكنه يتمتع بصحة وذاكرة قوية، قاموس أحداث الحى بأكمله منذ نشأته حتى الآن، يقوم على خدمة الزاوية الموجودة فى الحى وأحيانًا يرفع الآذان يدعى البركة ويقوم بوصف بعض التركيبات للعلاج والطب البديل والعلاج بالرقية، كما أنه صاحب وصفة منتشرة بين أصحاب المحلات بعض الأعشاب (كبذر رجله وعرق حلاوة وبعض من العرقسوس والملح الرشيدى)) يمسح به العاملين المحلات صباحًا تمنع العكوسات وتجلب الرزق ولا مانع من وصفة بعض المقويات والمنشطات الجنسية من التركيبات العشبية والنباتية القديمة وهو رجل طيب يتبارك به أصحاب المحلات والبيوت فى الحى، ولأنه يفعل ذلك توددًا وتقربًا غير طامع يترزق منهم قوته، حيث إنه يعيش بمفرده بعدما ماتت زوجته وابنته بعدها.

ظل الحلم شاغلًا بال عاطف لم يتوقف عن التفكير حتى أنه فى صباح اليوم يجلس فى المحل ليس كعادته شارد الذهن غير منتبه للعمل بالمرة، ولكن صالح واقفًا يتابع العمل رغم أنه أيضًا منشغل ولكن ليس كعاطف، وحينما مرّ الشيخ على من أمام المحل رآه صالح فأخبر عاطف فطلب منه أن يحضره ليفسّر له الحلم وبالفعل جاء الشيخ على ودخل جلس أمام عاطف وقصّ عاطف عليه الحكاية من البداية من أول رؤية ياسمين ثم عاطف ثم صالح وما رأى كلًا

منهم وشرع الشيخ على فى التفسير.

الشيخ على: - بص يا عاطف يا بنى أنا عارف إن اللى هقوله صعب يتصدق فى العصر اللى إحنا فيه بس اللى هقوله حقيقة تقدر ترجع فيها لأبوك وهو يأكدها لك.

الشيخ على: - المنطقة اللى إحنا فيها دى والقاهرة القديمة كلها عايمة على كنوز من أيام أجدادنا الأولين " الفراعنة "

بيتكوا مبنى على جزء من الكنوز دى زمان من أكثر من ٤٥ سنة وزيادة أبوك إشترى الأرض وهو بيحفر عشان يرمى الأساسات لاقينا علامات كتير بتقول إن فيه باب مقبرة ملكية أو سرداب فى المكان دة.

عاطف: - وأبويا كان عارف ياشيخ على؟

الشيخ على: - أبوك رفض الفكرة أصلًا

ولما الخبر إتعرف فى ناس عرضت عليه ثمن الأرض ١٠٠ مرة ومارضيش يبيعها ولا

رضى يحفر هو رغم إن الكل كان بيأكد إنه مش هيحفر كثير وهيلاقى الباب

لكن هو كمّل بناء البيت وفتح المحلات وشوية شوية

الناس نسيت والموضوع مات.

صالح: – يعنى أنت عاوز تقول يا عم الشيخ إن فيه تحت بيتنا كنز من أيام الفراعنة

الشيخ على: – والطريق اللى يوصّل للباب بدايته عند الحتة اللى نزل فيها الثعبان بالمفتاح اللى أنت شوفته لو حفرت هتوصل.

صالح: – لا دة كدة سفّت منك يا عم على ع الآخر بقولك إيه خد شوية القشطة دول ألف هنا وشفا على قلبك ونهارك أبيض.

الشيخ على: – أنت فاكرنى بخرّف الله يسامحك... طب إسأل كدة الحاج أسعد لو مش مصدقنى.

صالح: – ماشى هبقى أسأله يللا بقى خلينا نشوف أكل عيشنا خد حتة جبنة دوبل كريم أهى كمان إفطر بيهم.

نهر صالح عم الشيخ على ولم يتركه يتحدث كثيرًا فى هذا الموضوع وأظهر له أنه غير مقتنع نهائيًا بما يقول ولم يظهر أى إهتمام لحديثه بل سخر منه بالرغم من ذلك بعدما ذهب الشيخ على نظر إلى عاطف.

صالح: – أنت سمعت الراجل دة بيقول إيه؟

عاطف: – إيه دة يعنى أنت مقتنع بكلامه

صالح: – آه طبعًا... ملهاش معنى تانى

عاطف: – أومال مشيته ليه كدة... مش كنا فهمنا منه

صالح: – لا كدة أحسن عشان مايهبدش كتير ويسيح لنا... لازم أقطم الحوار وأوصلّه إننا مش مصدقين.

عاطف: – دة بيقولك إسأل أبوك لو مش مصدق... يعنى معنى كدة إن أبويا عنده علم بالموضوع.

صالح: – وتفتكر لو سألته هيجاوبك أما بيقولك رفض الفكرة أصلًا.

كان على عاطف أن يتأكد أولًا من صدق الرواية التى رواها الشيخ على، وإن صحّت فهذا معناه أن الباقى صحيح وأن هناك بالفعل كنزا تحت منزلهم ومدخله من شقة الأرضى ولابد من استخراجه ولكن فى هدوء حتى لا يشم خبرهم أحد.

لم يتقابل عاطف مع أبيه ولا زوجته ولا أخته ياسمين من قبل أمس وهو ذلك اليوم الذى انفعل فيه عاطف على الجميع وبات فيه فى شقة الأرضى هو وصالح.

ولكن عاطف ساوى الأمر وتعهّد بأنه سيفعل ما يريده أبوه وأنه

سيفرش عفش ياسمين فى شقة حازم وتعيش فيها وحازم سوف يبنى شقة فوق حنين، حيث إنه أجّل موعد زواجه إلى بعد التخرج.

كان كل هم عاطف هو إبعاد ياسمين عن الدور الأرضى.

ولكن ياسمين رفضت أن تأخذ شقة أخيها العريس وتمسكت بشقة الأرضى إلى أن يبنى لها هى شقة فهى لن تقبل على نفسها أن تأخذ ما ليس لها وأن هذه الشقة ملك لأخيها وقد قام بتشطيبها على ذوقه وهى لن تكون سببا فى كسر فرحته وأعلنت مجددًا تمسكها بشقة الأرضى وأن يعود عاطف إلى مكانه مع أولاده وستنتظر هى بناء شقة مخصصة لها فى الدور الأخير على أن يكون فى أسرع وقت.

وحينما رآها عاطف تتمسك هكذا فى الدور الأرضى علم أن الخبر قد وصل لها، فأكيد صالح حكى لزوجته حنين وهى بالتالى أخبرت ياسمين ولكن هنا تدّخل الأب وقال كلمته أنه سيقوم بنفسه بسؤال حازم وإن كان حقًا سمح لأخته بذلك بنفس راضية دون أى ضغوط هذا ما سيفصل فى الأمر، وكان عاطف قد ضبط الأمر مع حازم ووعده بالمزيد والمزيد حينما يستخرج الكنز فقد زغللت الوعود عينه.

وهنا تدخّل صالح فى الحوار فهو لا يستطيع صبرًا ويريد أن يطمئن لأنه لا يأمن أفعال عاطف ولا يثق فى تفكيره، وبعد انصراف ياسمين....

صالح: – إنما صحيح ياحاج إيه موضوع الكنز اللى أنت بنيت عليه

الحاج أسعد «الأب»: – وأنت مين قالك ع الموضوع دة؟

صالح: – عرفته بالصدفة بعد ما صليت العصر

الأب: – بعد ما إيه؟أنت بقيت تصلى؟

رربنا يهديك ويقوى إيمانك ويثبتك

صالح: – اللهم أمين يارب العالمين

عقبال عاطف كدة إن شاء الله

عاطف: – خليك فى نفسك ياحبيبى

صالح: – المهم... لقيت الشيخ على قولت أقوله حلم ياسمين يمكن يفسره...قعد يهفلط بالكلام ويقولى أصل البيت تحتيه مقبرة وليها باب وإنتوا بتحفروا لاقيتوا العلامات، وفى ناس كانت عاوزة تشتريه أكتر ١٠٠ مرة من ثمنه وأنت ما رضيتش وبنيت فوقيه

الأب: – طول عمرى وأنا مابحبش أعيش الوهم بحب أعيش فى الواقع وعمرى ما إتمنيت حاجة لغيرى ومش بتاعتى.

أنا فى الوقت دة كنزى الحقيقى إن يكون عندى بيت

وفيه تجارتى وعيالى يكبروا هم وعيالهم فى ملكهم وخلاص بقى فى إيدى أوم بدل ماأبنى أحفر عشان أدّور على كنز تانى مدفون والله أعلم إن كان موجود ولا لأ.

عاطف: – أيوة ياحاج بس معنى كلامك إنك ماكنتش متأكد يمكن لو كنت متأكد كان ممكن تفكر بشكل تانى.

الأب: – والله يا بنى كل اللى حوالينا كانوا متأكدين لدرجة إنه زى ما سمعت كدة قام مزاد على الأرض كل.

يوم ناس رايحة وناس جاية كل واحد يعلّى السعر عن اللى قبله عاوزين يشتروا الأرض وبالسعر.

اللى أقول عليه لدرجة إن كل الأراضى اللى حوالين بيتنا إتباعت على حس الموضوع ده.

صالح: – ياه للدرجة دى ياحاج

الأب: – وأكثر من كدة كمان الحى كله اتعمر بعدها وقالوا عليها أرض مرزقة

عاطف: – طب إيه هى العلامات اللى لاقيتوها وإنتوا بتحفروا؟

الأب: – لقيوا حتت جرانيت مرسوم عليها إتجاهات بالأسهم

صالح: – وماتفتكرش ياحاج لقيتوها فى أى حتة فى البيت دلوقتى

الأب: – لأ فاكر... كانت فى مدخل البيت وبتشاور اتجاه شمال غرب.

بعد حوار عاطف وصالح مع الحاج أسعد نيازى تأكد لهم تمامًا أن هذه الرواية حقيقية وأن بالفعل هناك كنز تحت البيت والمكان الذى أشار إليه شمال غرب المدخل هو فعلًا الآن مكان الغرفة التى رأى فيها صالح الثعبان يهرب بالمفتاح وهذا أيضًا يؤكد ما قاله الشيخ على بأن هذه هى نقطة البداية للوصول إلى الكنز.

ولكن السؤال الذى طغى على السطح وبدأ يتردد فى رأس عاطف يا ترى ماذا يكون هذا الكنز... عبارة عن إيه بالضبط؟ ويا ترى قيمته هتكون أد إيه؟ وهيطلع إزاى أصلًا ولما يطلع هيتصرف فيه إزاى وياترى مين اللى يقدر يطلعه ووجد أنها معظمها أسئلة تعجيزية لا يجد لها إجابة.

كانت علاقته بهناء زوجته فى توتر بسبب تلك الليلة والتى لا تعلم أين كان ومن هى التى تحدّث إليها صالح ليصل إليه وبالفعل وجده عندها.

فكان لابد له أيضًا أن يصفّى هذا الخلاف ليتفرغ لما هو أهم وأكّد لها أنه كان عند صديق وليس امرأة كما تظن وأقسم لها على ذلك.

اصطحب عاطف زوجته للمرة الأولى منذ زمن بعيد وخرج معها قاصدين صلاة الفجر فى السيدة نفيسة وهما فى الطريق حكى لها كل

ما حدث وما رأى فى منامه هو وصالح وتفسير الشيخ على وأقوال أبوه وربطه بكابوس ياسمين ثم عمّ الصمت باقى الطريق، كلاهما سارح يفكر فيما يحدث، هى فيما سمعت وهو فى الأسئلة الملّحة التى تتردد على ذهنه من وكيف وأين؟

حتى وصل أمام المسجد ودخلوا لزيارة ضريح السيدة نفيسة وقراءة الفاتحة ثم عادوا إلى المسجد وصلّوا الفريضة كلًا فى المكان المخصص له ثم تقابلا أمام المسجد عاطف وهناء وأقبل عليهم بعض المجاذيب يطلبون حسنة لله فأعطى لكل من أقبل عليه وهى أيضًا ليخرج من بين المجاذيب واحدًا يعطيه عاطف فيقول له فى دعواه ((ربنا هيرزقك بكنز كبير)) فيعطيه أكثر فينظر لهناء ويقول لها ((والله جايلكم كنز كبير بس هاتيلى عيش ولحمة))

ثم عاد الاثنان "عاطف وهناء" إلى السيارة وقبل أن يدير عاطف محرك السيارة للتحرك وقفوا لحظات صامتة ثم قال عاطف...

عاطف: – إنتى خدتى بالك المجذوب دة قال إيه؟

هناء: – آه طبعًا دة كلمته خرقت ودنى وطلعت على نفوخى وعمالة تتردد فيه

عاطف: – وتفتكرى دى صدفة أو هو متعود يقول كدة لأى حد يديله لله

هناء: – مااعتقدش... طب ما ناس كتير بعد الصلاة إدوله صدقات ما قالش لحد غيرنا كدة أصل الناس دى بيبقى فيهم شيء لله.

عاطف: – ((يشير إلى هناء أن المجذوب على مقربة منهم))

هناء: – بقولك إيه؟

طب ما تفتح كدة الإزاز وتشاور له ييجى

عاطف: – ليه عاوزة منه إيه؟

هناء: – كان فيه واحدة هنا عرافة... ..ست كبيرة حبشية كدة بتقرا الكف وتشوف الفنجان وتفسّر الأحلام وكلامها عمره ما بينزل الأرض أبدا.

عاطف: – طب وإحنا مالنا بيها؟

هناء: – إنده له بس نسأله عليها يمكن يعرف مكانها يدّلنا عليها هى اللى هتفسرلنا الأحلام مظبوط يارب بس تكون عايشة دى من أيام ما وعيت ع الدنيا كانت أمى وستّى بيجولها وأسمع أنها ست بركة وعلى فكرة ما بتاخدش فلوس.

عاطف: – لا... ما دام مابتاخدش فلوس يبقى أكيد صادقة... ننده

عليه

بقولك إيه تعالى خد...

ثم جاء المجذوب وقف أمام شباك السيارة وسألته هناء على تلك السيدة المبروكة فأجابها بأنها «السيدة تحفة» أو كما يلّقبونها «ست تحفة» وهى امرأة ذات لون بشرة وملامح أفريقية كبيرة جدًا فى السن قد تخطت الثمانين عامًا منذ زمن.

ولكنها تسكن قريبًا من هنا فى أحد «أحواش» المقابر المجاورة لمسجد السيدة نفيسة ولأنها أصبحت تصعب عليها الحركة فهى دائمًا تجلس فى ذلك «الحوش» ومن يرغب رؤيتها يذهب إليها.

وسألوه هل تستطيع أن توصلنا إلى هذا الحوش؟ فأجابهم بالموافقة على الرحب والسعة وأعاد على مسامعهم نفس الجملة الماضية.

المجذوب: - أيوة أنا أوصّلكم ليها... بس ما تنساش تطلّع الكنز وتدينى لحمة

وهنا استوقفه عاطف وسأله عن ما يقصد بالكنز فأجابه:

المجذوب: - أنت بتخبّى منى عشان مش عاوز تجيب لى اللحمة

فعدل عاطف عن سؤاله خوفًا مما قال ووعده أنه لو جاله كنز هييجى ويجيب له معاه لحمة ليه هو وكل الموجودين معاه حتى لا يغضب

المجذوب ويرفض توصيلهم للعرافة...

اصطحبهم المجذوب من بين شواهد القبور، كان مشهدًا مرعبًا للغاية! عاطف وهناء يرتجفا، عاطف يجذّ على أسنانه يشعر بالبرودة والخوف والترّقب والحذر والندم أيضًا لسماع كلام هناء ولكنه يحاول التماسك، وهناء كاد قلبها أن يتوقف من سرعة دقاته وتتمتم بكل الآيات والسور القرآنية التى تحفظها دون تركيز أو ترتيب وتتمسك بأطراف ملابس عاطف تمشى خلفه محتمية فيه.

والحقيقة أن الاثنان يحتاجان من يحتميان فيه فحالتهم مشابهة!

كانت المسافة قريبة على بعد ٥ دقائق مشيا، ولكنهم أحسّوا وكأنها بعيدة للغاية وأخيرًا وصلوا إلى العرافة «الست تحفة» أشار لهم المجذوب على باب الحوش وتركهم وذهب على وعد بأنه سيعود لهم عندما ينتهوا حتى يعود بهم إلى السيارة خوفًا من أن يضيعوا فى الطريق، وبالفعل لم ينتظر منهم ردا واختفى سريعًا من أمام أعينهم.

وبالفعل دخلوا إليها واستقبلتهم أحسن استقبال وجلسوا وشعورهم بالأمان عاد تدريجيًا وأخبرتهم أنها عادةً تنام بعد الفجر ولكن هناك شيئًا ما قد همس فى خاطرها، أن هناك من هو فى الطريق إليك، فبقيت مستيقظة؛ أى أنها كانت تعلم بقدومهم إليها.

قصّوا عليها الـ ٣ أحلام وطلبوا منها إعطاءهم تفسيرا وجاء ردها كالتالى:

تحفه: – الكلام اللى بتقولوه مفّسر نفسه ياولدى وواضح زين.

ثم وضعت المزيد من البخور على منقد الفحم التى صنعت فوقه القهوة وبدت ملامحها تتغير وأخذت تتمتم ببعض التعاويذ والأسامى فى هدوء وثبات، حتى إن صوتها تغيّر وأصبح أشبه بصوت رجل وشرعت فى التفسير.

تحفه: – المكان اللى كنتوا فيه مبروك ومليان خير ورزق خزنه من خزائن الأرض كقول يوسف لربه إجعلنى على خزائن الأرض سبحانه يؤتى الملك لمن يشاء وأتاك من ملكه... "بصوت مرتفع".

صلّ على حضرة سيدك النبى... مدد ياآل بيت النبى مدد... مدد يا صاحب المدد

تحفه: – مقبرة ملكية فرعونية راقدة فيها الملكة بكل مقتنياتها ومقفول عليها الباب بالرصد وواقف عليها الحراس وعشان تتفتح لازم المفتاح وعشان توصل للمفتاح فيه خطوات كل خطوة مسّلمة للتانية لحد ما توصل.

مكان دخول «الكوبرا» الثعبان الضخم هو بداية السرداب الموصّل لباب المقبرة

عاطف: – طب إنتى ياستّنا تعرفى تطلّعى الكنز دة

تحفه: – لا يا ولدى... مايقدر ع القدرة إلا ربنا ما عاد العود يسّد، بس ممكن أدّلك ع اللى يقدر.

لكن الأول لازم تعرف إن ياما ناس كتير ربنا إداهم ووصلوا إنهم قتلوا بعض فى النهاية عشان كل واحد فيهم كان طمعان فى عطية التانى، وناس كملّت ووصلت بالسلامة للبر... الطمع يخلّى كأن شىء لم يكن وما ينوبك إلا الزحف ع الجمر.

عاطف: – ربنا يكفينا شر الطمع والطماعين

يعنى اللى إنتى هتدلّينا عليه دة ضامناه وواثقة فيه

تحفه: – الضامن ربنا ياولدى واللى تشوفه بعينك ويقتنع بيه عقلك هو الحقيقة اللى تصدّقها وتثق فيها.

هناء: – طب ودة هنوصله إزاى؟

تحفه: – هتسيبوا نمرة التليفون وأنا هشيَع له النمرة وأخليه يكلمك.

هناء: – ماشى ياستّنا... ربنا يبارك لنا فى عمرك ويديكّى الصحة.

وحاولت أن تترك لها بعض الأموال، فهى تعيش فى مكان صعب، ولكنها كانت قد أوشكت على طردهما بسبب هذه الفعلة وقالت منفعلة.

تحفة: – شيلى الزبالة دى من هنا

هناء: – "حاولت توضح لها أنها فلوس"

دى مش زبالة حاجة بسيطة كدة عشان يعنى دخلنا بإيدنا فاضية

تحفه: – بقولك شيلى الزبالة دى من هنا دى زبالة الدنيا ذنوب وأوساخ البنى آدمين

هناء: – دول هدية منى ليكى مش عشان حاجة

تحفه: – المرة الجاية وإنتى جيّانى هاتى معاكى قرطاس بن محوج ويلا بقى وسيبونى أنام.

ومكان جلستها رميت جنبها على الأرض وتلحّفت ونامت ساندة رأسها على مخدة قديمة مهترأة وعادت هناء وعاطف إلى السيارة وركبوا وبدأوا فى التحرك إلى البيت ويتردد فى أذهانهم بعض من عباراتها كالمقبرة الملكية والملكة ومن قتلوا بعض طمعًا... وهكذا.

لم يعد شيئًا يشغل بال عاطف غير هذا الموضوع وزوجته هناء تغاضت عن كل شىء أو تظاهرت بذلك وصحبته فى التفكير فى هذا الموضوع وأيضًا صالح وحنين لم يعد السهر والهلس فى مقدمة

أولوياتهم كالسابق بل أصبح الكنز هو شغلهم الشاغل وما سيشترون ويمتلكون من القصور الضخمة والسيارات الفارهة، بالإضافة إلى فيلات السخنة والساحل ومارينا وغيرها كلًا بدأ يحلم أحلام كبيرة دون حدود إلا ياسمين باتت راضية بواقعها إلى الآن لم تتحدث عن مشاركتهم هذا الكنز وأيضًا حازم الذى ترك لها شقته تطلعًا للتعويض الأكبر بعد استخراج الدفائن التى لم يعلم أحد حتى الآن ما هى تحديدًا وأى نوع من الكنوز يقبع بالداخل؟

مرّ يوم واثنان عن لقاء عاطف وهناء بالست تحفة ولم يتصل أحد كما قالت وفى اليوم الثالث وفى وقت غير متوقع ومكان أيضًا غير متوقع نهائيًا، بعد انتهاء عاطف عمله فى المحل وبعد أن صعد إلى منزله وتناول عشاءه وغيّر ملابسه نزل ليذهب إلى مشوار وحينما استقلّ السيارة وأدار المحرك، وقبل أن يتحرك أتى شخص لحضوره هيبة ذو بريق فى الوجه يرتدى الزى الصعيدى (الجلباب والقفطان والعمامة) وحذاء لميع ويمسك بيده مسبحة كبيرة ألفية والمسك يفوح منه وفتح باب سيارة عاطف وركب إلى جانبه وأغلق خلفه الباب استدعى الأمر عدة ثوان قضاها عاطف صامتًا فنظر الشيخ فى عين عاطف وبإبتسامة مطمئنة قال له وهو يمدّ يده...

الشيخ: – السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

عاطف: – وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته

الشيخ: – الأخ عاطف مش كدة؟

عاطف: – أيوة... بالظبط

مين حضرتك؟

الشيخ: – أنا أخوك الشيخ أشرف الشريف شيخ مشايخ الطرق الصوفية...

وأخرج حافظة كارنيهات وناوله الكارنيه الأول.

محاضر روحانى عالمى فى جامعة فرنسا لعلوم الفلك، وأخرج له الكارنيه الثانى.

ومعايا دكتوراه فى الطب النبوى والعلاج والتدواى بالقرآن والرقية الشرعية وخبير فى إخراج الكنوز والدفائن وتسخير الجان وإبطال السحر وفك المربوط وأصدقائى المقرّبين بيقولولى يا دكتور وخلاص.

عاطف: – أهلًا وسهلًا بيك

والمطلوب منى إيه؟ "فى ذهول "

الشيخ: – كل خير إن شاء الله

أنا جالى مرسال من الخالة تحفه

عاطف: – تحفه آآآآه... صح... لا مؤاخذه

إيه دة بس إزاى حضرتك عرفت مكانى؟ هى ما خدتش غير رقم التليفون بس؟

أنت مباحث ولا إيه؟!

الشيخ: – " إبتسم ضاحكًا "

هو اللى يوصلّك لازم يكون مباحث؟

عاطف: – مش القصد...

بس أصل الست تحفه ماتعرفش عننا غير الحلم اللى حاكينا هولها ورقم التليفون اللى سيبناه.

الشيخ: – طب ممكن نقعد فى أى مكان وأنا هفهمك كل حاجة

عاطف: – آه طبعًا... تحب نقعد فين

الشيخ: – نقعد فى أى مكان هادى نعرف نتكلم فيه

ذهب عاطف والشيخ أشرف إلى أحد كافيهات وسط البلد الهادئة وبعد أن أخذ الموافقة بعدم الممانعة الحضور صالح معهم فحدّثه عاطف هاتفيًا وطلب منه الحضو.

المكان هادئ ذو إضاءة خافتة جلس فى أحد أركانه عاطف وأشرف قبل أن يلحق بهما صالح، كان أكثر ما يقلق عاطف كيف وصل إليه

الشيخ أشرف وكيف عرف عنوانه وسيارته بل وعرفه هو شخصيًا!

الشيخ أشرف: - أنا شايف إن الموضوع دة مسبب لك قلق من أول ما قابلتك ومخليك مش مرتاح لى بس والله الموضوع سهل أنت اللى مضخمه.

وأخرج الشيخ أشرف هاتفه وفتحه وبحث عن الرقم الذى أرسلته له "تحفه" وهو رقم عاطف واتصل بالرقم فأجابته الرسالة المسجلة بأن الهاتف مغلق.

الشيخ أشرف: - دة الرقم اللى أنت سيبته عند تحفه مغلق من بعد العصر وأنا بحاول أتصل عليه بنفس النتيجة.

فأخرج عاطف هاتفه بالفعل وجده على وضع الطيران وقام الشيخ أشرف بنسخ الرقم وفتح أبلكيشن ((تروكولر)) وأضاف الرقم ثم ضغط بحث فظهر له اسم صاحب الرقم (عاطف نيازى)) ومكانه المحدد ((اللوكيشن))

الشيخ أشرف: - ظهرلى مكانك قريب منى فمشيت على اللوكيشن لاقيت نفسى أدام المحل بتاعكم واليافطة مكتوب عليها أسعد نيازى وأولاده.

كان فى راجل كبير واقف سألته هو عاطف نيازى ساكن هنا قاللى آه ودى عربيته وشاورلى ع العربية.

وأنا واقف بحاول الاتصال بيك تانى لاقيتك بتفتح العربية الراجل شاورلى وقاللى استاذ عاطف أهو ؛ جيت وركبت جنبك وأنت من ساعتها ما اتكلمتش غير فى نفس الموضوع عرفت مكانى منين؟ كأنك مستخبى! أو عامل عاملة... أعصابك خفيفة أوى يا أخ عاطف.

عاطف: – بصراحة ماكدبش عليك يا عم الشيخ أنا متوتر جدًا وحاسس إنى متلخبط.

الشيخ أشرف: – لأ مالكش حق... واحد غيرك يفرح ويكون كله ثقة فى نفسه... ويبقى جامد زى الحديد...

أنت ربنا اختارك من وسط الناس الكتير دى وبعتلك هدية وياسلام على هدايا الرحمن...

عاطف: – بجد والنبى يا عم الشيخ... يعنى...أنت متأكد؟

الشيخ أشرف: – بص عشان أكون صادق معاك عشان أقولك متأكد لازم أدخل المكان وأشوف العلامة وساعتها أقولك مبروك أنت عندك كنز لا يقدر إلا بمليارات الدولارات على أقل تقدير لا تقل عن ٤ مليار دولار.

عاطف: – إيه الأرقام دى؟ أنت بتقول إيه؟

الشيخ: – المقبرة الملكية سعرها بيوصل ل١٠ مليار دولار كمان...

بس أولًا أشوف المكان

كان قد حضر صالح وحينما دخل الكافيه بدأ البحث عنهم بعينيه فى أرجاء المكان حتى وقعت عينيه عليهم فأقبل نحوهم.

صالح: – السلام عليكم

إيه يا عاطف فى إيه؟

عاطف: – فى كل خير أعرفك الأول

الشيخ أشرف الشريف

عرف عاطف صالح بالشيخ أشرف وكيف وصل إليه ثم سلم أطراف الحديث للشيخ أشرف كى يعّرف نفسه لصالح ويخبره بما أخبره به بنفسه.

لم يسمع صالح ويقتنع، بل بدأ يتساءل فى كل كبيرة وصغيرة، وإن كان فعلًا يستطيع إخراج هذه الدفائن والكنوز وما الذى سيفعلونه بعد إخراجها من باطن الأرض إن استطاعوا... لمن سيبيعونها من ذا الذى يدفع كل هذه الأرقام وهل من الممكن أن يفتحوا هذه المقبرة ولا يجدون بها شىء يجدوها خاوية، فالفراعنة دائمًا كانوا يفعلونها لتجنب اللصوص أو أن تكون قد سُرقت منذ زمن.

فكان لكل سؤال إجابة لدى الشيخ أشرف وإجابة مقنعة فعلًا ولكنه

أخبر صالح أن ما يفكر فيه هو سابق لأوانه، فعليهم أولًا أن يتأكدوا من صحّة الرؤية والوصول إلى العلاقة التى ستدّلهم على مكان الحفر إن صحّت وحدثت، يبقى بالفعل المقبرة ملكية وما زالت لم تُفتح بعد...

وفى هذه الحالة سيتم تحضير خُدام وحُراس هذه المقبرة من الجان وتلبية رغباتهم حتى نستطيع فتح المقبرة وإخراج ما فيها دون أن يتأذى أحد.

والشيخ أشرف على علاقة بأحد تجار الآثار وهو دبلوماسى فى إحدى السفارات وبيشترى ويسّلمك فلوسك كاش وهو كمان اللى بيخرج التماثيل عن طريق السفارة.

كان عاطف وصالح يسمعان هذا الكلام وكأنهم يحلمون كيف لهم بهذه السهولة بين يوم وليلة سيصبحون يمتلكون كل هذه الثروة من الدولارات ولكن بقى أن يتأكدا أن هذا الشيخ صادق ويستطيع أن ينفّذ ما يقول لابد أن يروا من كراماته شيئًا فاتفّق الثلاثة على الخطوة الأولى فى التنفيذ والتى كان يريدها عاطف أن تتم الآن فى جُنح الليل.

ولكن الشيخ أشرف اقترح عليهم أن يقوم بهذه العملية نهارًا وهناك ضوضاء فى الحى حتى لا ينتبه أحد إلى صوت التكسير أو الحفر فى الليل الحى هادئ بعد إغلاق المحلات والصوت بيسرى فى الليل.

وأنهم سيكتفون فقط الليلة بالذهاب إلى شقة الأرضى ويقف الشيخ أشرف فى المكان ويكشف هل بالفعل فى هذا المكان سرداب إلى مقبرة ملكية أم لا؟ وإن كان نعم فأين هى العلامة التى أخبرهم عنها؟

وبالفعل ذهبوا شقة الأرضى وقف الشيخ أشرف فى منتصف الشقة وقرأ عدة تعاويذ وطلاسم وجمل مطموسة على أخرى واضحة ثم اختار أن يدخل الغرفة التى رأى فيها صالح الثعبان يأخذ المفتاح ويدخل الحفرة دون أن يخبره أحد، ثم دخل فيها وطلب منهم أن يأتوا إليه بطبق غسيل بلاستيك عميق ويملؤوا نصفه ماء ثم وضعه فى منتصف الحجرة وأخذ يقرأ ويشير بيديه فى حركة دائرية حول الطبق عدة مرات ثم طلب منهم أن يغلقوا نور الغرفة ليروا فجأة أن الطبق حوله طاقة نور مضيئة، ثم ازداد وأسرع فى القراءة حتى أصبحت المياه داخل الطبق تطفو أعلى الطبق وكأنها تغلى ثم تصاعدت منها الأبخرة ثم حدث انفجار بسيط وخرجت بعض ألسنة اللهب من وسط طبق الغسيل البلاستيك.

ثم أمرهم بفتح الإضاءة وعاطف وصالح يرتجفان... كل هذا يحدث أمام أعينهم وسجد الشيخ أشرف على الأرض، فعندما فُتحت الإضاءة كأن شيئًا لم يكن، ظل واضعًا جبهته على الأرض ويبكى بكاء له صوت ونحيب ويشكر الله عز وجل ويقّبل الأرض ويبكى.

ظلّ الشيخ أشرف ساجدًا ويبكى حتى تناقل البكاء وأصبح صالح وعاطف أيضًا يبكيان من هول الموقف ويحمدان الله ثم قام الشيخ

أشرف ليأخذهما بالأحضان واحدا يلى الآخر ثم عاد وحضنهما الاثنين معًا وبين بكاء ومباركة وحمدًا لله وتقبيلهم البعض ظلوا هكذا بعض الوقت.

صالح: – هو اللى إحنا شوفناه ياشيخ أشرف دة معناه إيه لمؤاخذة!

الشيخ أشرف: – معناه إن دة المكان اللى هنحفر فيه هينزّلنا على السرداب اللى هيوصّلنا على باب المقبرة.

عاطف: – طب ومستنى إيه يا عم الشيخ إحنا نحفر دلوقتى ونفتح المقبرة ونطلّع اللى فيها

الشيخ أشرف: – مش بالسهولة دى ياأخ عاطف..الموضوع أشبه بعملية جراحية دقيقة

المهم دلوقتى إننا إتأكدنا فعلًا إن فيه رزق كبير أوى فى المكان دة.

صالح: – إيه استفدته أنا بقى؟

إحنا عاوزين نطلّعه يا عم الشيخ

الشيخ أشرف: – ياأخ صالح إحنا لازم الأول نحضّر الجان المكلّف بحراسة المقبرة ونشوف طلباته إيه ونلبّيها وبعد كدة يدلّنا على البوابة على طول.

بطن الأرض زى بطن البحر بالظبط وماتنساش إننا هنحفر فى قلب بيت يعنى ممكن يتهد علينا كلنا وندّفن جواه.

عاطف: – ياه... للدرجة دى!

الشيخ أشرف: – أنت ما سمعتش عن لعنة الفراعنة ولا إيه؟

صالح: – طب إيه المطلوب دلوقتى يا عم الشيخ؟

الشيخ أشرف: – أيوة هو دة الكلام المفيد

إحنا أولًا هنجيب شوية بخور ونحضر ونشوف طلباتهم إيه بس مبدئيًا كدة هنفضّى الحجرة دى من كل حاجة فيها نخليها فاضية خالص ونخلع البلاط دة على الأقل فى الجزء دة كله ((منتصف الغرفة))

عاطف: – خلاص يا عم الشيخ أنت هات البخور بتاعك وتعالى الصبح هتلاقى الحجرة فاضية والبلاط مخلوع.

الشيخ أشرف: – أنا مش هجيب حاجة

أنت هتجيب كل حاجة وإن شاء الله أنا أول ما أفتح هاخد الثلث

صالح: – الثلث بحاله؟! مش كتير أوى؟!

الشيخ أشرف: – ولما أبيعلك نصيبك هاخد عمولة ١٠٪

عاطف: – كمان لا دة كدة كتير أوى

الشيخ: – والله ياأخ عاطف لو تعرف تطلعّه من غيرى طلعّه بس خلى بالك يتنصب عليك أو يتبلّغ عنك والحكومة تاخد كل حاجة.

يا راجل ما تستخسرش فيّا دة أنا اللى هطلعهولك وخللى نيتك صافية نرزق كلنا ولازم تعمل حسابك من البداية إن الخيانة والنية اللى مش سليمة ممكن تضيع الجمل بما حمل.

صالح: – إحنا موافقين يا عم الشيخ

عاطف: – موافقين على إيه يا عم صالح إنه ياخد الثلث

صالح: – آه موافقين بس على شرط

الشيخ: – قول يا أخ صالح وأنا موافق من قبل ماأعرفه

صالح: – أنت اللى هتجيب المشترى وفلوسنا تيجى كاش لحد عندنا ومن غير الـ ١٠٪ هو الثلث وبس وأهو نبقى كلنا زى بعض.

عاطف: – نبقى زى بعض إزاى؟ بقى دة كلام عاقلين؟ ولا أنتوا فاكرين إن إحنا بس اللى لينا حق.

الشيخ أشرف: – طب أنت عاوز إيه ياأخ عاطف أنا مش عاوزك تبقى مش راضى لازم تكون مسامح ونيّتك صافية عشان ربنا يكرمنا.

عاطف: – أنت هتاخد ٢٥٪ وأنا ٧٥٪ عشان أنا ورايا ناس كتير فى البيت ليهم حق ولا إيه يا عم صالح؟ ولا أنت نسيت إنه بيت أبويا أنا... بتقسّم بمزاجك.

الشيخ أشرف: – وأنا موافق ياأخ عاطف وهجيب لك مشترى كمان ومش عاوز عمولة نقرا الفاتحة بقى نتوكل على الله عشان ربنا يكرمنا.

عاطف: – قبل ما تقرا الفاتحة أنا أضمن منين

الشيخ أشرف: – قبل ما تكمّل الخاين عليه ربنا

إنتوا كل حاجة عندكوا وفى إيديكوا يعنى حقى أنا اللى أخاف ياأخ عاطف أنا اللى على أرضكم.

صالح: – إيه نقرا الفاتحة ولا إيه؟

*****

عاطف: – طيب دلوقتى بعد ما قرينا الفاتحة إدينى كام يوم أظبط حالى ووضعى وأكلمك أو صالح يكلمك يقولك إحنا

جاهزين.

الشيخ أشرف: – ماشى... توكلنا على الله

بس ياريت يومين مش أكتر... وأنا هبعتلك دلوقتى رسالة فيها الطلبات اللى هنحتاجها... اللى هى البخور وخلافه خليها جاهزة من غيرها مفيش حاجة تتم.

عاطف: – إتفقنا

الشيخ: – السلام عليكم

صالح: – إتفضل من هنا يا عم الشيخ.

ظلّ عاطف يفكر طويلًا فقد طار النوم من عينه، أما صالح فقد أخبر حنين زوجته بكل الأحداث التى حدثت وقد أبهرها ما سمعت حتى أنها صارت تدفعه وتحمّسه أن يقوم بتشجيع عاطف على أخذ القرار وبدء التنفيذ.

لم يعد الأمر سرًا فى عائلة أسعد نيازى فقد علم الجميع بما حدث بأنهم قد شاهدوا ما لم يتوقعه عقل بأن الأرض تنير ويحدث غليان وانفجار فى المياه وإمكانيات الشيخ فى ترويض الجان وكذا وكذا...

ظلّ صالح يشترى الطلبات التى أرسلها له الشيخ أشرف واستجمعها بكل سهولة عدا طلب وحيد لم يستطع الحصول عليه، هو أحد

أنواع البخور التى أخبرهم عنها الشيخ بأنها أهم الطلبات المطلوبة والتى من غيرها لا يستطيعون بدء التنفيذ وهو «الطقش المغربي» وقد يحتاج منه ما لا يقل عن (٤٠ جراما)

وحينما غلبه اليأس فى الحصول عليه تحدث إلى الشيخ هاتفيًا يسأله عن بديل ولكنه أخبره أن «الطقش المغربي» من أهم المكونات ولا بديل يحل محله ولابد من الحصول عليه بأى شكل وبأى سعر.

ثم وصف له عدة أماكن يذهب إليها فلربما يجده أو يجد من يدله على أحد يبيعه أو يعرفه على أحد يستطيع أن يوفر له الـ ٤٠ جراما من الطقش المغربى الأصلى وأن ينتبه إلى المغشوش منه أو المقّلد وأرسل له صورا على الهاتف توضح شكل «الطقش المغربى الأصلى».

وبعد محاولات عديدة لم ينجح لا صالح ولا عاطف فى الحصول على «بخور الطقش» فعاودا الاتصال مجددًا بالشيخ أشرف لكى يبلّغاه بصعوبة الأمر وفشلهما فيه، فوجداه يخبرهما بأنه تحدّث إلى أحد الأشخاص المتخصصين فى بيع مثل هذه الأشياء ووعده بأنه سيوفر له طلبه فى خلال ٤٨ ساعة على الأكثر ووقتما يحدث ذلك سيخبرهما على الفور ليذهب إليه أحدهما ليتحصل منه على الطلب.

وبالفعل بعد مرور يوم واحد اتصل الشيخ على عاطف يخبره أن الطلب جاهز وعليه أن يذهب لشرائه وأرسل له رسالة فيها رقم لسيدة تدعى «وسيلة» فهى تمتلك «الطقش» فعليه أن يتصل بها ويحدد موعدا

لمقابلتها وشراء الطقش منها وإخباره حتى يستعد ويبدأ العمل وإخراج الدفائن والكنوز.

ولكن حينما تحدّث صالح إلى وسيلة علم منه سعره وكانت تلك هى المفاجأة الصادمة لعاطف فقد أخبرتهم أن سعر الجرام قد يتخطى ١٠٠٠ يورو ولكنها ستبيع لهم الـ ٤٠ جراما كاملة بـ ٢٥ ألف يورو فقط، وذلك إكرامًا وتقديرًا للشيخ أشرف أى ما يعادل ٥٠٠ ألف جنيه مصرى.

ولكن عاطف رفض رفضًا قاطعًا أن يدفع ذلك المبلغ واضطروا للجوء مجددًا للشيخ أشرف وأخبروه بما حدث وبما قالت "السيدة وسيلة" وكان رده أنه سعر عادل جدًا ولن يستطيعوا الوصول إليه مجددًا ولربما فيما بعد إن أضاعوا هذه الفرصة سيشترونه بسعر أعلى من هذا.

ولكن عاطف أخذ يماطل ويتهرب من أنه يمتلك هذا المبلغ أو حتى نصفه وهنا عرض عليه الشيخ بأنه يستطيع أن يحضر له شخصًا آخر يدفع هو كل المصاريف ولكنه سيتشارك معهم بنسبة ٥٠ ٪ مما سيستخرجونه والـ ٥٠ ٪ الأخرى تصبح مناصفة بين الشيخ وعاطف ولكن هذا الحل أيضًا رفضه عاطف رفضًا تامًا فهو أصلًا يتمنى أن يستحوذ عليه بأكمله لنفسه.

الشيخ أشرف: - إسمع ياأخ عاطف

عمر الدنيا ما بتوزع هدايا مجانية... الحياة اللى إحنا عايشينها بتاخد تمن أى حاجة بتديهالك مقدمًا.

وأنت اللى هتدفعه دلوقتى أقل بكتير من قيمة اللى جاى

وقالوها زمان اللى مالوش قلب مالوش رزق

ولو أنت فاكر إن دة آخر طلب تبقى غلطان ولا أنا حتى أقدر أحدد لك إنت هتصرف كام لغاية ما توصل لباب المقبرة دى حاجة فى علم الغيب على حسب طلبات الخُدام، الجن مفيش معاه فصال... لأن الجن والجان بذمة واحدة... مش زى البنى آدمين، بيتهيألى أنا كدة عملت اللى عليا...

أنت بقى شوف نفسك لو حسيت إنك تقدر تمشى المشوار لآخره من غير ما تعطل فى النص لأن دى اللى هتبقى الخسارة بجد بلغنى... أقولك على حل تانى حلو جدًا.

عاطف: – أرجوك إلحقنى بيه

الشيخ أشرف: – هقبّضك كاش ٢٠ مليون جنيه وهتاخدهم مقدمًا... ومالكش دعوة تصرف بقى زى ما تصرف ويطلع فيها كتير يطلع فيها شوية حلال ع اللى دفع.

صالح: – ياه... عشرين مليون وكاش مقدمًا إيه الثقة دى يعنى معنى كدة إنك متأكد ومتمكن جدًا.

الشيخ أشرف: – يا أخ صالح أقل قطعة من اللى إن شاء الله هنطلعها من المكان دة على أقل تقدير ضعف الرقم دة أو أكتر وأنا عندى كمان اللى يدفعلك أكتر من كدة.

صالح: – إيه يا عاطف قولت إيه؟

عاطف: – إنت رأيك إيه؟

صالح: – أنا رأيي إننا نبدأ الخطوة الأولى وكل حاجة هتبان

الشيخ أشرف: – الله يفتح عليك ياصالح نتوكل على الله... ونبدأ وكل حاجة هتبان وإحنا شغالين وأنا متأكد إنك هتندم إنك ضيعت وقت وإستهلكتنا فى الكلام الكتير.

عاطف: – خلاص توكلنا على الله

بكرة هجهز المبلغ ونكلم الست وسيلة ويروح صالح يجيب الطلب منها ٤٠ جراما طقش مغربي.

أنت عندك ثقة فى وسيلة دى؟

الشيخ أشرف: – عيب...على ضمانتى

وأى حد من طرفى على مسؤليتى سيبها على الله وربنا بينى وبينك.

إن طالب المال لا يشبع أبدًا مهما امتلك، فكلما زاد ما يملك أراد أن يمتلك أكثر...

لم تخطئ السيدة المسّنة «تحفه» عندما وصفتها بأنها تحمل أوزار وأوساخ الناس، فكم من بشر قتلت أو سرقت أو زنت أو ظلمت أو خانت من أجل المال؟!

لا توجد فى هذا العالم قطعة نقدية واحدة نظيفة لم تتطلخ بذنوب ودماء البشر!

إن المال هو أكبر وسيلة مدعاة للشر، ففى هذه الحقبة الزمنية التى نحياها تستطيع أن تفعل أى شىء بالمال حتى المستحيل أصبح يتحقق بالمال وأيضًا هناك من يفعل أى شىء بما فيها المستحيل من أجل الحصول على المال.

لقد دمّر المال كل شىء جميل فى هذا الزمان وغيَّر المبادئ والمفاهيم، أصبح كل شىء حولنا للبيع، إن استطعت دفعه ملكته حتى ما كان لا يباع ولا يشترى أصبح أول المعروض فى ساحة البيع.

الآن أصبح كل شىء متوفرا، البخورات التى طلبها الشيخ أشرف الشريف بما فيها الطقش المغربى، بدأت الرجل تدب فى الحى

والمحلات فتحت أبوابها للزبائن وقاصدى الحى للتسوق.

ومحلات أسعد نيازى مفتوحة وعاطف فى داخل المحل على مكتبه وصالح يقف على بنك البيع الأمامى، حضر إليهم الشيخ أشرف الشريف وبصحبته شخص آخر تركه واقفًا خارج المحل ودخل هو إلى عاطف ورحب به عاطف وبدأ التفاؤل يملأ وجه عاطف فقد اقتربت ساعة العمل التى من بعدها سينال الجائزة الكبرى.

طلب عاطف من صالح أن يستمر هو فى العمل داخل المحل حتى لا يتأثر الشغل أو أحد يلحظ شيئا لو تغيب الاثنان وسيصاحبهما عاطف من الآن، حتى لا تخفى عنه أى خافية، وبالفعل أخذ الشيخ أشرف ومن معه ويدعى الشيخ صبرى وهو مساعد الشيخ أشرف وهو من يقوم بعملية الحفر بعدما يقوم بالتبخير والتحضير ويحدد له الشيخ أشرف مكان الحفر.

دخل الثلاثة إلى شقة الدور الأرضى... كان صبرى يحمل معه شنطة سفر فتحها ليجد بداخلها أدوات الحفر ومبخرة خاصة بالشيخ وفحما وموقدا صغيرا.

وكانت الغرفة جاهزة فاضية تمامًا والبلاط مفكوك فى منطقة المنتصف كما أراد.

أشعل الشيخ صبرى الموقد ووضع عليه الفحم ليشتعل ثم خلع ملابسه وبقى بالسروال والفانلة.

أما الشيخ فوضع سجادة الصلاة أمام المكان وجلس ينتظر الفحم يشتعل وطلب من عاطف البخور والطقش المغربي وقام بتحضير كل شيء، ثم أتى إليه صبرى بالفحم المشتعل وبدأ التبخير وقراءة الطلاسم.

ثم أخذ يضع فى الطقش المغربى وينتظر الإجابة حتى بدأ الفحم يحدث فرقعات صغيرة "طقطقة" بعدها أمر صبرى بتحضير الخلوة هكذا قال له.

أخرج صبرى من الشنطة توب قماش أخضر ستان وغطى النصف الأسفل من الحوائط (داير داير) ثم ثوبا من قماش "البفتة" البيضاء وغطى به النصف الأعلى من الغرفة ثم قام الشيخ أشرف ممسكًا قلما (فلوماستر عريضا أحمر اللون) وبدأ يكتب على القماش تعاويذ وطلاسم وأسماء الجان والخدم من الجن وصولًا إلى ملوكهم كنوع من تحصين المكان حتى يكونوا فى أمان، هكذا رد على سؤال عاطف عندما سأله عن فائدة ذلك بأنه هكذا يقوم بتأمين أهل البيت من الجان الذين سيحضرون لتلبية أوامره مما زاد من اطمئنان عاطف تمامًا.

إن الأجواء أصبحت مثيرة للغاية، دخان البخور يسبح فوقهم فى فراغ الغرفة وشكل الحوائط وما تحمله من رسومات سيريالية وتعاويذ وطلاسم سليمانية.

وقوة الشيخ فى قراءة القسم على حضور الجان واسترضائه وحالة الترقب والقلق الممزوجين بالخوف تعلن عنها رجفة يد عاطف وركبتيه.

وبدأ صبرى فى الحفر فى دائرة قطرها لا يزيد على متر، كان الحفر سهلا وسلسا، حيث إن الأرض مبللة ليس هناك أى طبقة صخرية أو خرسانية مما جعلها ميسرة عندما وصل عمق الحفرة إلى متر استوقفه الشيخ أشرف وعاود عملية التحضير مرة أخرى.

ثم صعد الشيخ صبرى من الحفرة وخلع الشيخ أشرف جلبابه ليبقى بالسروال والفانلة هو الآخر ونزل إلى الحفرة وبدأ بإصبعه يرسم بعض الطلاسم ويقرأ تميمة ويكررها سريعًا فأسرع وأخذ يتحسس بيديه على أرضية الحفرة، كل هذا يحدث بوضوح على مرأى من عاطف الذى وقف محدقًا يرصد كل تفصيلة تحدث.

ما زال الشيخ أشرف يتحسس ويجس الأرض ويقرأ ثم عند نقطة معينة ضرب يده إلى داخل الأرض ممسك شيئًا ما تحت الأرض ثم أخرج يده بها تمثال صغير فى حدود ٢٥سم طولًا، ويبدو أنه من الذهب وبدأ التكبير والتهليل والصلاة على النبى وزاده بالبكاء وسجد الشيخ صبرى واضعًا رأسه على الأرض باكيًا وخرج الشيخ أشرف من الحفرة ليجد عاطف ينتظره فاتحًا ذراعيه ليأخذه بالأحضان، فى هذه اللحظة دخول صالح بالصدفة ليجد الفرحة العارمة والحالة التى عليها المكان.

إنهم قد وجدوا البشرى والعلامة، فهو تمثال فرعونى من الذهب الخالص لحارس المقبرة الملكية القابعة فى أسفل هذا المكان، بدأ يقبل صالح وعاطف يد الشيخ ورأسه.

الشيخ أشرف: – إيه رأيك ياأخ عاطف

البشرى والعلامة بس تساوى أكتر من ٢٠ مليون ولا لأ

عاطف: – اللهم صلى ع النبى...الحمدلله ربنا يزيد ويبارك مايحسد المال إلا أصحابه يا عم الشيخ...شد حيلك بقى عاوزين نحرر الباقى.

صالح: – اللهم صلى ع النبى عليك يا عم الشيخ أد كلامك ربنا يزيدك من علمه دة أنا كنت فاكر لسة بدرى على ما العلامة تبان.

الشيخ صبرى: – لأ..مولانا بالصلاةُ على النبى بيسحب من بطن الأرض... مدد ياشيخنا مدد.

ثم ركع على ركبتيه وأمسك بيد الشيخ أشرف يقبّلها ويبكى حتى بللت دموعه يد الشيخ فأخذ بيده الشيخ وأوقفه ثم أعطى له التمثال فأخذه ولفّه فى لفة كلفة الأطفال، وبدأ يتعامل معه على أنه طفل رضيع ويسّمى عليه كلما وضعه أو رفعه أو أعطاه لأحد فأخبرهم أن يتعاملوا معه بنفس الطريقة وكأن التمثال أحد أبنائهم الرضّع، وكان

لذلك أثر فى نفوسهم فقد أحبوه بالفعل وكأنه منهم بشر لحم ودم!

وهنا قال الشيخ أشرف أنه سيكتفى بهذا الليلة، وينصرف ويترك التمثال فى حوذتهم أمانة وأن الخطوة القادمة كما أخبره الجن أنه سيصل إلى الصندوق الذى سيجد فيه مفتاح المقبرة حتى إذا وصلوا لباب المقبرة استطاعوا فتحه، ولكنه يحتاج إلى تلبية بعض الطلبات منها كمية أخرى من الطقش المغربى وذبح ثلاثة عجول وتوزيعها فى سبيل الله على دراويش السيدة نفيسة وآل البيت، فعليهم التواصل مع السيدة وسيلة حتى يتسنى لها تحضير طلبهم سريعًا كى يستكملوا أعمالهم ثم تركهم الشيخ أشرف وأخذ المساعد معه الشيخ صبرى وأغلقوا الغرفة على وضعها ومضى وبقى عاطف وصالح والتمثال لعدة دقائق ينظران لبعضهما وللتمثال فى حالة من الدهشة والفرحة.

صالح: - مبروك يا عاطف

عاطف: - مبروك علينا كلنا

صالح: - أنا عاوز أعرف هو طلعّه إزاى ولا لقاه فين؟

عاطف: - لا بجد شيخ متمكن ربنا يزيده من فضله ضرب إيده فى الأرض وطلعها بالتمثال كأنه ضربها فى البحر مش فى أرض وهو عمل كل حاجة أدام عينيا مفيش أى حاجة متدارية.

صالح: – أنت متأكد... لتكون حركة

عاطف: – يا راجل بقولك أدام عينيا صبرى حفر زى ما هو شاور له وطلع، هو نزل قعد يعزم ويقرأ بتاع دقيقتين وهوبا ضرب إيده فى بطن الأرض طلعها بالتمثال كأنه مد إيده فى البحر مسك سمكة وطلعها... لا بجد جبار.

صالح: – طب وهنعمل إيه بعد كدة!

عاطف: – دة سؤال برضو يا أبو الصلح هنجيب الطلبات ونكمل شغل هى قرفتها جميلة وإن شاء الله مقضية بس أنت كلم الست اللى قال عليها وخليها تحضّرلنا الطقش فى أسرع وقت وأنا هطلع أشيل التمثال فى الخزينة وأفرّح الجماعة فوق على ما أنت تشطّب المحل وتحصّلنى.

صالح: – ماشى...أتوكل أنت على الله بس واحدة واحدة عليه دة لسة نونو

كان الخبر سعيدا للجميع إلا ياسمين الوحيدة التى شكت فى هذه العملية برمتها وأربكت كل حسابات عاطف وأيّدها أحيانًا صالح، أما حنين وهناء وحازم مقتنعون ومصدّقون ما دام عاطف مصدقًا ما يحدث.

ياسمين: – إنتوا مالكوا مصدّقين أوى كدة ليه إنتوا إيه عرّفكوا

إن دة تمثال فرعونى وإنه دهب ممكن يكون نحاس أو مطلى ماء دهب وتكون دى حركات نصب وخفة يد.

عاطف: – أولًا صعب جدًا تكون خفة يد أو نصب لأن الراجل الشيخ والمساعد بتاعه كانوا واقفين أدامى مستورين بس ((بالفانلة واللّباس)) والشيخ ضرب إيده أدامى فى بطن الأرض وإيده فاضية كأنه دبّها فى حتة عجين وخرّج التمثال.

ثانيًا حتة بقى إذا كان دهب أو لأ؟ أو فرعونى أو لأ؟

دى عندك حق فيها إحنا فعلًا لازم نتأكد منها دى

صالح: – طب دى هتتأكد منها إزاى هتجيب خبير آثار يكشف عليه

هناء: – أنا ليا واحدة صاحبتى شغاله فى هيئة الآثار

ياسمين: – خلاص ممكن تصورى التمثال وتبعتى لها الصورة

هناء: – وأقولها إيه بقى؟

ياسمين: – قوليلها مثلًا إنك عاوزه تعرفى اللى فى الصورة دة إسمه إيه أيام الفراعنة لو قالتلك إسمه فعلا يبقى حقيقى.

عاطف: – طب وحكاية إذا كان دهب ولا لأ دى هنعرفها إزاى؟

حنين: – فاكر ياصالح لما إشتريت من عواطف أختك فردتين الغوايش؟

صالح: – آه فاكر

حنين: – ساعتها روحت للخواجة موريس الصايغ عشان يتمّنهم ويشوفهم يسووا كام وعيار كام.

طلّع إزازة من عنده فيها مياه بيضا كدة وحط ع الغوايش

حنين: – ولما سألته إيه دة قاللى دة إسمه " الكداب " لو الغوايش دى مش دهب ياكلها وتتكسر إنما لو دهب ولا تتأثر.

ياسمين: – دة حل حلو جدًا

إحنا ممكن نبعت حازم الصاغة يدوّر ع الكداب دة ويجيب لنا منه...

زرعت ياسمين الشك فى قلب عاطف وجعلته يفكر فى أشياء لم تخطر له على بال ولكن صالح برر ذلك بأنها تريد أن تعطّل المسألة حتى تصبح ممّلة ومحفوفة بالشكوك حتى تصرف النظر عنها فعليه ألا يعطى لها أذنه كثيرًا.

ولكن عاطف وجد كل ما قالته صحيحا ومنطقيا وعليه التأكد والتيّقن، فإن الحذر واجب وألا يدع مكانا للشك، وإذا تأكد له

صدق الأدلة سيكمل ويكون مطمئن القلب.

وبالفعل جاءت كل النتائج سليمة ١٠٠٪ فقد أرسلت هناء صورة لصديقتها وأخبرتها بأنه أحد حرّاس الملكة المتربعة على عرش الأسرة الرابعة.

أما مادة «الكذاب» قد أوضحت أن التمثال مصنوع من الذهب الخالص.

وبذلك زادت ثقة عاطف فى الشيخ أشرف وإن كان متأكدا أن هناك كنزا فيما قبل الآن بات متأكدًا وواثقًا أكثر؛ مما لا يدع أى مجال للشك وعلى حسبته دفع ٥٠٠ ألف جنيه وأصبح يملك تمثالًا تخطى العشرين مليون، فأصبح لا مانع من أن يدفع ويحصل على الطقش الباقى ليصل إلى مفتاح المقبرة فهى تعد الخطوة قبل النهائية للوصول إلى الجائزة الكبرى، وعلى الفور تواصل عاطف بنفسه بـ «وسيلة» وطلب منها كمية مماثلة من الطقش فأخبرته بعدم استطاعتها توفير طلبه هذه المرة بنفس الثمن ولكنها ستحاول أن يكون أقل من سعر السوق والذى وصل بعد ذلك إلى ٧٠٠ ألف جنيه.

وذبح العجول كما طُلب منه وذهب بها معبأة فى أكياس إلى أضرحة أولياء الصالحين وتوزيعها على الدراويش والمجاذيب، ولم يكن بمفرده بل كان فى صحبته هناء زوجته وحنين أخته وصالح زوجها فى سيارتين مملوءتين بأكياس اللحم، ثم فى الأخير قرروا زيارة «الست

تحفة» وإعطاءها من اللحم وقرطاس البن المحوّج كما طلبت وتقرأ لهم الفناجين أو تقرأ لهم الطالع أو تطلعهم على الغيب أو تطمئنهم على المستقبل.

جاءت هذه المرة مختلفة ففى المرة الأولى كان هناك من أوصلهم إلى باب الحوش الذى تقيم فيه، أما هذه المرة لم يجدوا المجذوب واضطروا إلى الاعتماد على ذاكرتهم للوصول لها وبالفعل اتخذوا نفس المسلك من بين شواهد المقابر وكان ذلك نهاية اليوم بعد العشاء.

كان الظلام قد حلّ، لا يوجد أحد فى المقابر ولا بصيص نور حولهم، يتحسسون فى الظلام محاولين الوصول حتى أن صوت أقدامهم له صدى، وعندما مرّوا بأحد القبور سمعوا صوت صراخ مكتوم أو أنين لأحد يتألم فتملّكهم الخوف وانتقلت العدوى بينهم وتساءلوا فيما بينهم إذا كانوا جميعًا يسمعون نفس الصوت فهل يا ترى هناك فى الأسفل أحد قد دُفن حيًا أو استفاق بعد دفنه، وفى هذه اللحظة التى قرروا العودة فيها وجدوا أمامهم «المجذوب» الذى أوصلهم فى السابق وكانت المرة الأولى لحنين تشاهده فأصابتها حالة من الفزع والهلع وأوشكت أن يُغشى عليها فكان لهم النجدة، فأكملوا معه الطريق إلى حوش إقامة الست تحفه وسألوه عن هذه الأصوات الصادرة من باطن القبر، فأخبرهم بأنه متوفى مدفون بعد المغرب ويظن أنه يُسأل الآن.

إن الموت هو الحقيقة الوحيدة فى هذه الحياة التى نحياها، كل شىء وكل

الأمور يطرأ عليها تغيرات وقد تتغير ظروفها إلا الموت هو الحقيقة الوحيدة الثابتة مهما تغيرت الأزمنة، الموت مصير كل شىء حى لا أحد يستطيع الفرار منه أو تأجيل موعده أو تغييره وليس هناك من مكان على وجه الأرض تستطيع أن تختبئ فيه من الموت ولا شخص مهما على شأنه تحتمى فيه من الموت.

إن الحياة هى مجرد رحلة للوصول إلى مكانك ومكانتك فى الحياة الأبدية بعد البعث وعندما تأتى اللحظة الحاسمة والموعد المقرر سلفًا وتبلغ الروح الحلقوم ثم تصعد لبارئها لا يستطيع صاحبها أن يصطحب أحدًا ولا شيئًا معه لا مالًا ولا ولدًا.

أخذ المجذوب ما قُسم له من لحم الذبيحة وبعض الأموال منهم وتركهم عند باب الحوش ومضى كسابقتها ودخلوا هم عند السيدة تحفة والتى رحبت بهم وقدمت لهم القهوة وقرأت لهم الفناجين وأخبرتهم بأمور عديدة وجوانب خفية فى حياة كل منهم، مما جعلهم مستغربين جدًا كيف لها أن تعرف كل ذلك وهى لم تعرف أى شىء عنهم ولا عن حياتهم فهى تخبرهم الأحداث بالتفاصيل والأشخاص، وتقريبًا ذكرت لهم كل شىء حدث منذ أن تركها هناء وعاطف فى المرة السابقة إلى هذه اللحظة التى هم فيها.

وبكلمات حادة وواضحة توجهت بها لعاطف فى نهاية قراءة فنجانه قائلة:

تحفه: – على نياتكم ترزقون...

أحسن النوايا يا ولدى تربح... واللى منك منك زى لحمك ودمك... الله يعينك ع اللى جايلك.

عاطف: – إيه ياستّنا قلقتينى...إيه هو اللى جاى

تحفه: – كل واحد بيجيله على أد اللى عنده

وأنت هيبقى عندك كتير... أكتر مما تتوقع بس أضمر الخير تلاقيه فى سكّتك

فى مسألة هتحيرك وهتدورك وتغيّر دمك وتغيّرك
إختيارك فيها هو مصدرك لابد فيها إنك تضحى بس قبل ما تضّحى صحّى صوت الضمير جواك وإياك تبيع الغالى بالرخيص وتجرى ورا إبليس ومسألتك حلها قبل ما تحلّك.

كانت تلك الكلمات بالنسبة لعاطف غير مفهومة، فعن أى شىء تتحدث، لم يعلم ولكن ظلّت الكلمات فى باله تتردد فلربما يتضح له معناها فيما بعد.

اليوم سيأتى الشيخ ومساعده ليستأنفوا الحفر، فكل شىء جاهز وفى انتظارهم البخورات والطلبات وجلد الدبائح بعدما تم تنظيفه وتمليحه بالملح كما طلب الشيخ وتم طبخ بعض اللحم مع الفتة.

حضر الشيخ أشرف ومساعده صبرى بزيّهم الفخم الجلباب الصعيدى ذى القفطان والحذاء اللّميع والسبحة الخشب الألفية ورائحة المسك تفوح منها كان فى استقبالهم عاطف دخلوا شقة الدور الأرضى ونزل لهم حازم بالصينية عليها الطعام حتى يأكلوا من الذبيحة وليكن بينهم عيش وملح ووعد ألا يكون بينهم سوء نية أو خيانة أو أى شىء من هذا القبيل فإن للذهب سحر يصاحبه وسوسة الشيطان كما قال الشيخ أشرف.

استعدوا لبدء العمل وقام صبرى بإشعال الفحم وتبخير المكان واسترضاء سكان العمار ثم أدخل المبخرة فى الغرفة التى بها يتم الحفر.

وبدأ الشيخ بتحصين كل الموجودين سواء عاطف أو الموجودين بالأعلى زوجة عاطف وأخواته وأولادهم عن طريق القراءة على زجاجة ماء كبيرة وطلب من عاطف أن يسقى جميع من بالبيت حتى لا يُصاب أحد بأى مس أو أى مكروه، وبالفعل أخذ عاطف الزجاجة وصعد للأعلى وأعطى كل واحد شربة من الماء حتى تأكد أن الجميع شرب من الماء ثم عاد إلى الشيخ أشرف.

ودخل الشيخ إلى الغرفة وخلفه صبرى وعاطف ولحق بهم صالح وقام بتلاوة الدعوة البرهنية والجلجوتيه وملوك التيجان وردد العزيمة وتزايد دخان الطقش المغربى وزادت الأجواء إثارة وخوفا وترقبا، ثم بدأ الشيخ وكأنه يتحدث إلى أحد ويأمره ولكن لا أحد يسمعه

غيره، ولكن من ملامح وانفعالات الشيخ أشرف يظهر وكأنها ليست بالبسيطة ولكنه مسيطر على الوضع، هكذا يتضّح لهم...

ثم قام الشيخ أشرف وبدأ القراءة بصوت جهورى أجشّ لبعض التعاويذ والتراتيل والكلمات المطموسة وأخذ ينادى على ملوك الجان بأسمائهم وألقابهم ويسألهم الحضور.

ثم قام بتوجيه صبرى إلى الحفر مقدار كذا رأسيا ثم من بعدها أفقيًا بمقدار كذا وظلّ يقرأ ويردد أثناء ما يقوم به صبرى ثم طلب المساعدة من عاطف فنزل معه الحفرة وأخذ يساعد صبرى حتى وصولهم إلى الحد المطلوب وظلّ عاطف وحيدًا فى الحفرة فطلب منه الشيخ أشرف أن يستمر قليلًا وأثناء حفره وجد قطعة حجرية منقوش عليها بعض الرسومات والكلمات الفرعونية ويبرز فى أسفلها مفتاح الحياة من شكلها المنحوت الواقع، إنه المفتاح إن عاطف هو الذى استخرجه بيده.

أخذه منه الشيخ أشرف ووضعه أمامه وزاد صبرى من البخور وبدأ فى القراءة واستمر ثم أشار إلى صبرى فقام بإغلاق الأنوار فأصبحت الغرفة مظلمة تمامًا، وأخذ يُنادى على ملوك الجان وخُدامهم وحراس المكان ويقسّم عليهم أن يحضروا فبدأت ومضات مضيئة تنتقل على الحوائط أمامهم وتختلف ألوانها وتتبّدل أماكنها من هنا إلى هناك.

وفيما يبدو أن الأمر ليس باليسير فقد احتار النقاش بين الشيخ وبين

من يستدعيهم من الجان.

كانت النتيجة مرضية جدًا أمام عين عاطف وصالح فقد وصلوا إلى المفتاح وهذا ما كانوا يريدون بقى فقط أن يحفر حتى يظهر لهم الباب ويفتحوه ويظفروا بما فى الداخل، ولكن الشيخ أشرف على وجهه أشياء تقول غير ذلك تمامًا ولا أحد يعلم ما الأمر، فبعد أن أضاءوا الغرفة قام الشيخ بالتحضير مرة أخرى وإعادة المفاوضات السابقة مع الجان مرة أخرى، وبعد الانتهاء الذى يبدو وكأن نهايته ليست مُرضية للشيخ طلب صبرى من الجميع الجلوس وترك الشيخ قليلًا يأخذ قسطًا من الراحة فلقد أجهدته العملية وبالفعل جلسوا بعيدًا ولكنهم يرونه فبدأ صبرى يكشف ملابسه ليتفاجأ الجميع أن صدره وضهره وأكتافه بهم علامات وكأنه كان يُجلد بكرباج وظلّ يتألم بعض الوقت ثم أحضر صبرى بعض الماء وبدأ يكمّده حتى يخفف الألم عنه.

ثم طلب أن يجلس هو وعاطف على إنفراد حيث أن هناك مسألة لا بد من النقاش فيما بينهم وهنا أخبر عاطف بشىء لم يكن أبدًا على البال ولا الخاطر ولا كان لأحد أن يتخيل أن يحدث ذلك أو يطلب ذلك.

أخبر الشيخ أشرف عاطف بأن الجان قد أخفت باب المقبرة الملكية بعد أن وجدنا المفتاح ولن تظهره أمامنا إلا بعد أن نحقق طلبهم أولًا.

فسأله عاطف عن ما هو طلبهم الذى أعياه لمثل هذه الدرجة فأجابه بأنه طلب صعب للغاية وهو حاول التفاوض محاولًا إيجاد طلب آخر ولكنهم تمسّكوا بهذا الطلب تحديدًا وعاقبوه بالجلد لاعتراضه على طلبهم.

فأراد عاطف أن يعرف ما هو طلبهم الذى يشعر وكأنه هدّ كل شىء دون أن يعرفه حتى فأخبره الشيخ أشرف أنهم يريدون تقديم أحد سكان المكان قربانًا لهم.

فسأله التوضيح أكثر لأنه لم يفهم فأخبره أن المطلوب هو دبح أحدًا من أهل البيت وتقديم دمه للجان حتى يرضوا عنّا ويفتحوا لنا وإن هذا هو الطلب الوحيد الباقى لوصولهم إلى الكنز.

لم يخبر الشيخ أشرف أحدًا بمطلب الجان سوى عاطف وطلب منه عاطف أن يجعل الأمر فيما بينهم فقط إلى أن يجدوا مخرجا من هذا المأزق، ولكن الشيخ أخبره أن ليس هناك حل سوى التنفيذ ووعده أنه سيحاول أن يجد حلا آخر مع الأسياد من الجان وفى أقرب وقت ولكن إن فشلت محاولاته فليس أمامه حل سوى أن يتخير من سيقدم من أهله قربانًا للجان فى سبيل حصوله على الكنز إذا كان يريد.

وهنا رد عليه عاطف بأنه سيحصل على الكنز مهما كان الثمن.

لم ينزعج عاطف من طلب الجان بتقديم أحد أهله بقدر ما أزعجه

أن يكون هناك سبب يستطيع أن يحول بينه وبين حصوله على الكنز.

ومنذ أن ذهب الشيخ أشرف وترك عاطف يحاول صالح أن يعرف ما الذى حدث ولماذا توقف الشيخ عن العمل ولماذا لم يستخرجوا الدفائن رغم أنهم وجدوا المفتاح الذى كانوا يبحثون عنه! ما الذى عرقل المسألة إذن؟! ولم يجد من عاطف إجابة واضحة وظلّ عاطف هائمًا على وجهه يفكر ما الذى سيفعل لو لم يجد الشيخ حلًا.

وبدأ يفكر فى من الذى سيضّحى به من أهله فى سبيل حصوله على ما فى المقبرة!

ظلّ عاطف مشوشًا مشتتًا لم يعد يفكر إلا فى شىء واحد كيف يستخلص هذا الكنز لنفسه فهى خطوة واحدة التى تحول دونه.

فى هذه الليلة جلس عاطف وحيدًا فى شقة الدور الأرضى يستجمع قواه ويلم شتات أفكاره لم يعد يرتعد مثل السابق عندما يدخل إلى هذا المكان.

جلس فى الغرفة التى بات فيها سابقًا أمام غرفة الحفر يتكئ على مسند على الأرض لمح بعينيه طفاية السجائر بها بقايا من لفائف الدخان التى كان يدخّنها هو وصالح فى ليلة مبيتهم.

سحب عاطف الطفاية وأشعل إحداها حتى قضى عليها ولكنها ليست بمفعول المرة السابقة فأشعل الثانية وقبل أن يقضى عليها

قضت عليه هى.

مرّ أمام عينيه شريط بالأحداث السابقة سريعًا حتى وصل إلى حديثه الجانبى مع الشيخ أشرف حينما أخبره بأن الجان يريد دم أحد سكان المكان لنتعرف على بقية الشرط وهو أن عاطف لابد أن يذبحه بيده ويقدم دمه بنفسه للجان حتى يخضعون له ويستطيع الوصول للمقبرة بما تحوى من كنوز.

إنّ من فى المنزل جميعهم أهل عاطف والده وزوجته وأولاده وأخواته وأبناء أخواته وزوج أخته ليس هناك أحد غريب.

فهل سيتوقف إلى هنا عاطف أم إنه سيكمل وإن كان سيكمل إذن بمن سيضّحى من عائلته؟

من فيهم جميعًا يستطيع أن يعوّضه المال؟ عن من سيستغنى**!** ويصبح بالمال أغنى عنه**!**

حقًا إننا نحيا فى عصر تحكمه المادة وتتلاشى فيه العواطف أمام المصالح الشخصية، أصبحت لدينا ثقافة غض البصر عن أى خطأ فى سبيل مصلحتنا.

أصبح لكل شىء ثمن إلا الروح لم يعد لها ثمن ما دامت لا تعود علينا بالمنفعة المباشرة على الرغم إن هذه الدنيا بأسرها خلقت من أجلها، تغيّرت المبادئ وإنحرفت عن بُصلتها وأصبح الخالق موجود لتحقيق

أمانى المخاليق فقط وأصبحت أهواؤنا هى التى تحكمنا فطوّعنا حتى الأديان لخدمة أهوائنا ولكن الحقيقة التى تغيب دائمًا عن أعيننا أو نحاول تغيّبها أن هناك لحظات فى حياتنا مرت لا يمكن أن تتكرر لو دفعت كل ما تملك فعجلة الزمان لا يمكن أن تعود للماضى وإن استنسختها فى الحاضر حتى ولو كانت بنفس الأشخاص لن تستطيع أن تستنسخ المشاعر والأحاسيس فيها والأشخاص هناك أشخاص فى حياة كلًا منا لا يمكن أن يعوّضك عنهم أحد حين تفقدهم تفقدهم للأبد، ولا يمكن أن يغنيك عنهم أحد ولا حتى كل كنوز الأرض فهم يأتون فى العمر مرة واحدة وإن فارقوا لن يعودوا.

إن عاطف مازال متحيرًا هل يتوقف إلى هذا الحد ويكون قد خسر ما دفع وخسر الكنز أم يضّحى بأحد من عائلته ويستعيض بالمال عنه.

جلس فى بيته يراقب الجميع فكلما مرّ أمامه أحد من أهله يفكر فيه بدءًا من أول ما سيقرر أنه هو الضحية مرورًا بباقى التفاصيل كيف سيأخذه دون أن يعرف أحد من العائلة وكيف سينفّذ فيه حكمه بإنتهاء أجله إلى هذه اللحظة ثم يأخذ روحه وتقديم دمه قربانًا للجان.

إن مرّ والده يفكر فيه فقد بلغ من العمر عتيّه عاش كثيرًا إلى أن رأى أحفاده ومن الممكن أن يموت فى أى لحظة طبيعيًا فقد شبع من الدنيا وقد أدّى رسالته فى الحياة وما تبّقى له من العمر أكيد قليلًا

فما الضرر من تسريع أجله فى سبيل إسعاد أولاده وأحفاده من بعده فهو متحملًا مسئولية هذا المزنق فلماذا لم يستخرجه فى الماضى.

ولكن والده قليل الحركة فكيف سيأخذه إلى شقة الدور الأرضى كما أنها مسألة صعبة فكيف سيواجهه وهو ينحره.

ثم مرّت أمامه هناء زوجته حاملة له فنجان القهوة وضعته له وهى ذاهبة فكر فيها جديًا لم تعد هذه الزوجة تغرينى كما أنها لم تعد تهتم بى أنا أشعر وكأننى أعيش مع ريبوت تتحرك بناءًا على أوامرى فقط لم تفاجئنى مطلقًا بشىء جديد وسيكون من السهل عليا إقناعها النزول إلى أسفل دون أن تخبر أحدًا فهى ستكون الأسهل، فأنا أعرفها لم تعطى خيانة ولم تقاوم كثيرًا ستستسلم سريعًا ويمكن تعويض مكانها ب٤ غيرها حسب الشرع والدين ولكن من سيقوم على خدمة الأبناء والأب إلى أن استخرج الكنز ثم أتزوج غيرها.

وهو جالس يفكر رنّ جرس الباب فتح أحد أبناؤه فهى أخته ياسمين وإبنتها نزلت تطمئن على أبيها وترى هناء فهما أصدقاء.

وفورًا جاءت فى باله ياسمين سوف يتخلص منها ومن إزعاجها وطلباتها وتمسّكها بحقها وكسب والدها فى صفها ولأنه متأكد من أنها إن حصل على الكنز ستشاركه رغمًا عنه وإلا سيكون مصدر خطورة عليه.

ولكن يرد على فكرته فى الحال فإن ياسمين ما زالت فى ريعان شبابها

ولن تستسلم أبدًا فهى متمردة وقوية وسليطة اللسان وعالية الصوت هكذا هو يراها لأنها تتمسك دومًا بحقها فإن هوت المكيدة ستفضح أمره وليس ببعيدًا أن تقدمه بيديها للشرطة لتتخلص منه.

كان عاطف يجلس فى أحد الأركان منزويًا فقد مرّت ياسمين ولم تره، دخلت غرفة والدها وخلفها إبنتها فرح وبعدما سلمت فرح على جدها عادت لتذهب إلى اللعب مع أبناء خالها فرأت فرح خالها عاطف، فأقبلت عليه لتسّلم عليه فجاءته الفكرة ليس هناك أحد فى الصالة فلما لا يأخذ فرح ويفتح الباب ويغلق خلفه دون أن يشعر أحد تحت دعوة أنه سيشترى لها حلوى ويأخذها على شقة الدور الأرضى ثم يكتم أنفاسها ويقوم بذبحها، فلن تأخذ منه وقت أو مجهود ربما دقائق وتكون قد حُلّت المسألة وإنتهت الأزمة وحصل على الكنز.

وكاد أن يفعل ذلك لولا جاء صوت صراخ إبنه الصغير عدة صرخات متتالية فجاءت ياسمين سريعًا من غرفة والدها لتعرف لماذا يبكى "زيزو" أصغر أبناء عاطف أو تعين صديقتها إن كانت بحاجة إليها، فوجئت ياسمين بإبنتها فرح واقفة أمام عاطف فنادت عليها تحت دعوة عدم إزعاج خالها واصطحبتها معها للداخل ليروا لماذا يصرخ زيزو.

وهنا عاطف سبّ ولعن إبنه زيزو وأمه فقد أفسدوا عليه الفرصة فقد كانت أوشكت على الحل ثم فكر أغرب وأقسى فكرة ممكن أن

يفكرها إنسان مهما بلغ من القسوة والتحجّر مهما كان حبه للمال أو الدنيا يستحيل أن يطاوعه قلبه أو عقله مجرد التطرف للتفكير فيها.

فقد فكر فى تقديم إبنه الصغير قربانًا للجان أولًا لأنه مزعج للغاية وثانيًا يكون احتمال صوت صراخه جاء الآن كرسالة تنبيهية، ثم إنه يستطيع تعويضه فمن أنجبه ينجب غيره واحدًا وإثنين أو أكثر من زوجة وإثنين وثلاثة وأربعة ولكنه يرى أكثر ما سيؤّرقه هو نواح وحزن أمه لفقدانه.

وفى الأخير اتخذّ قرارا؛ أنه سيتصل بالشيخ ويطلب مقابلته لعله يساعده فى الاختيار سيشرح له دوافعه ومبرراته تجاه كل واحد فكر به وفى نفس اللحظة التى يفكر فيها بالشيخ أشرف الشريف وجده يتصل به.

عاطف: - ألو

الشيخ أشرف: - السلام عليكم

عاطف: - وعليكم السلام

إزيك يا عم الشيخ... والله كنت لسة بفكر فيك

الشيخ أشرف: - ما أنا عارف...

عشان كدة كلمتك... شايف لك رؤية الليلة اللى

فاتت... متحير وتعبان وسهران الليل مابتنامش ما بتضيق إلا لما بتفرج.

عاطف: - فعلًا يا عم الشيخ... أنا محتاج أقعد أتكلم معاك...

الشيخ أشرف: - وأنا كمان يا أخ عاطف

وانتهت المكالمة على موعد باللقاء وبالفعل تقابل عاطف مع الشيخ على انفراد وحكى عاطف له كل ما دار فى رأسه من أفكار ومبررات لاختيار الضحية وطلب منه أن يساعده فى الاختيار من منهم نحره أولى من الباقين؟

الشيخ أشرف: - ياه ياأخ عاطف اللى يسمعك دلوقتى مايشوفكش أول مرة قابلتك كنت خايف وبتترعش مجرد بس ما مسكت الدهب... قلبك مات

مات بمعنى الكلمة... لدرجة إنك فكرت تدبح ضناك دة بصرف النظر عن إنك فكرت فى باقى العيلة وكأنك أنت اللى خلقته وتقدر تخلق غيره دون مجهود منك.

عاطف: - مش دة طلب الجان؟ هو أنا جبته من عندى

الشيخ أشرف: - وإفرض ياأخى

دة أنا اللى ما يقربوليش ومش هعمل حاجة بإيدى أنت

اللى هتنفذ بإيدك يستحيل يجيلى قلب أعمل كدة أبدًا أو أشترك معاك فى حاجة زى كدة.

عاطف: – يعنى معناه إيه الكلام دة إنى صرفت كل الفلوس دى على الفاضى

الشيخ أشرف: – ما هو دة اللى أنا عاوزك عشانه فى حل تانى أنا بقالى يومين عامل خلوة وبحاول استسمح الخدّام يخففولنا الشرط شوية لغاية ما بفضل الله وصلت لحل مافيهوش دم خالص.

عاطف: – وساكت كل دة يا عم الشيخ طب ما تلحقنى بالحل دة أبوس إيدك

الشيخ أشرف: – ماأنا كنت جاى أبشّرك بس أنت صدمتنى بكلامك وخوّفتنى منك أنت ممكن تاخد غرضك وتردم علينا الحفرة يعنى إحنا هنكون أعز عليك من ضناك.

عاطف: – لا أقسم بالله يا عم الشيخ...دة أنا أفديك برقبتى أما أنت هتبقى سبب رئيسى وشريك فى الحاجة دى بس إلحقنى بالحل اللى عندك ما دام فى السليم.

الشيخ أشرف: – هو فى السليم أى نعم إنما مكلّف شوية... ومش شوية قليلة دة أد اللى اتصرف تلات أربع مرات على أقل

تقدير ويمكن أكتر.

عاطف: – قصدك يعنى ٣ أو ٤ مليون جنيه

الشيخ أشرف: – لأ أكتر

عاطف: – كمان... وإيه هو بقى الحل دة

الشيخ أشرف: – زئبق أحمر

بلحة زئبق أحمر ٣/١ و٣ جرام هتتقدم قربان للجان مكان الدم دى الحاجة الوحيدة اللى ممكن يتقبلها بديل.

دى بترجع عمره آلاف السنين وتقدر تملكه عن طريقها وينفذ ويطيع

عاطف: – أيوة بس أنا ما أمتلكش المبلغ دة ماأكدبش عليك ولا حتى أقدر أدبّره أنت صعّبتها عليا أكتر.

الشيخ أشرف: – استغفر ربك... دة أنا بحلّك من دم مؤمن برىء ومن أهلك ودمك

وبالفعل ظلّ الشيخ يحاوره حتى اقتنع بأنه سيقابله بالشخص الذى يعرفه يمتلك الزئبق ويحاول أن يتفاوض معه أو يعطيه ما يملك ويأخذ منه ضمانات للباقى، وبعد فتح المقبرة وبيع ما فيها يرد له باقى المبلغ وخصوصًا أن من يمتلك الزئبق امرأة يمكن أن تكون

أسهل من معاملة الرجال خصوصًا وأن الشيخ سيضمنه عندها.

وذهب على أنه سيحدد الموعد ويبلغه به ويجمعه بها، وإلى أن يحدث ذلك لابد وأن يحاول تجميع أكبر مبلغ ممكن ولا يقل بأى حال من الأحوال عن نصف المبلغ المتوقع حتى تكون فرص الموافقة على طلبه كبيرة.

فعرض عليه عاطف أن يحاول بيع التمثال الذهب الذى استخرجوه، ولكنه أخبره أنه من الصعب فعل ذلك لسببين:

أولهم وهو السبب الأقوى قد تغضب منه الأسياد يقصد هنا «الجان» وتحل لعنتهم على الجميع وقد تفسد هذه العملية.

أما السبب الثانى أن هذا الإجراء سيستغرق على الأقل أسبوعا وهم ليس لديهم وقت فى المهلة إلا يومان.

أصبحت مقفولة مثل (الدومينو) أمامه، فالطريق الأسلم والأسهل هو تدبير المبلغ وشراء الزئبق وإنهاء المسألة وبهذا ليس هناك خطورة أو إيذاء لأحد، ولكن كيف سيدّبر المبلغ فهو مضطر إلى تجميع كل ما يملك من أموال سائلة ليعرف ما الذى يستطيع أن يدفعه وما الذى سيتبقى عليه وإن طلبت منه ضمانات ماذا ستكون وهل فعلًا ستوافق على طلبهم كما قال الشيخ أشرف أم سترفض المبدأ نفسه.

اجتمع عاطف بصالح وأخبره عن طلبات الأسياد فلابد من تجميع

هذا المبلغ خلال يومين وهو يتخطى الأربعة مليون أو على أقل تقدير نصفه فأخبره بأنه صعب للغاية فالسيولة لا تكفى كما أخبره بخوفه من تلك المخاطرة الصعبة وغير مضمونة وأن يتوقف إلى هنا ولا داعى من الاستكمال، وأن ما صرف قد يسهل تعويضه إن انتبه إلى العمل وترك التفكير فى الكنز واستشهد بالمثل الذى يقول «الخسارة القريبة خير من المكسب البعيد» ولكن كل هذا الكلام أمام تمسّك عاطف وطمعه فى الكنز لا شىء... وردّ عليه بمثل أيضًا يقول «ضربة بالمرزّبة ولا ألف بالشاكوش» وأنه يستحيل أن يصرف نظر فهو يشعر أنها فرصة العمر والفرص قد لا تتكرر وأمره بتحصيل الأموال من السوق ولا مانع من حرق بعض البضائع ولو بأقل من السعر المتداول فى السوق من أجل تحصيله نقدًا.

لم يجد صالح أمام إصراره سوى أن يعيد عليه السؤال مرة أخرى...

صالح: – يعنى أنت متأكد ومالى إيدك أوى إن شاء الله إن الكنز دة جاى وإنّ دة آخر طلب؟

عاطف: – زى ما أنا متأكد إن أنت صالح جوز أختى وإن شاء الله دى آخر خطوة وأول ما نلبّى الطلب هنمسك فى إيدينا وهتتأكد أنت كمان وبكرة أفكرك.

صالح: – خلاص اللى أنت شايفه من حكم فى ماله ما ظلم أنا كان كل غرضى بس إنى أطمن بس ما دومت أنت مالى إيدك

أوى كدة من الصبح هعمل حاوى وأجمعلك المبلغ وأنت
برضو فتّش نفسك كدة وشوف معاك كام ومحتاج كام
وسيبها على الله

عاطف: – توكل على الله.

بكرة الأرقام دى كلها هتبقى فكّة مش هنبوصّلها...
ونشّم هوا نضيف بدل ريحة الشرش

صالح: – أنا حاسس إنّنا لو روحنا أى حتة تانية هنفضل شامينها
برضو طبعت جوانا...

كان صالح غير راض تمامًا عن هذه المجازفة ليس خوفًا على عاطف أو ماله ولكن خايف أن تتأثر حصة زوجته فى مال أبيها بعد وفاته إن لم تتم هذه العملية ويحصلوا على الكنز وأخبر زوجته حنين وياسمين عما ينوى أن يفعله عاطف والمجازفة بكل أمواله التى ستصبح إرثًا لهم فى يوم ما سيأتى حتمًا حتى وإن كان بعد عمر طويل وأنه يخبرهم حتى يخلى مسئوليته وكأنها من باب الحرص عليهم، ولكنه لم يلق رد الفعل الذى كان يتوقّعه وأحسّ بسلبية شديدة فى تلقّى الخبر والتعليق عليه فكان ردّهم أنه مسؤول عن أفعاله فإن خسر فهو أول المتضررين وإن ربح فكان محقًا، فهم يرون مثله أن العائد يستحق المجازفة.

ثم أقنعوه أنه متخوّف زيادة عن اللزوم وشاركتهم هناء زوجة أخيهم

الرأى وأن رأيهم فى عاطف أنه فى موضوع الفلوس لا يخاف عليه فلا أحد يحب المال مثله.

صالح: – بصراحة إنتوا فى النقطة دى عندكم حق عاطف الجنيه اللى بيخرج من جيبه يبقى نجى بمعجزة.

بس أنا واجبى إنى كان لازم أديكم خبر لكن مادام ده رأيكم ياريت عاطف مايعرفش إنى قولتلكم.

فأجابوا عليه بأنهم سيتظاهرون وكأنهم لا يعرفون شيئًا ما دام هو لم يخبرهم...

وبالفعل بدأ عاطف فى تجميع المبلغ بمعاونة صالح، كان هناك شقة فى منطقة الهرم هى لعاطف قد اشتراها تمليك منذ فترة، فهى المكان الذى يرفّه فيه عاطف عن نفسه، تسكنها صديقته التى تقوم على راحته ومتعته كلما جاؤه المزاج، وصديقته تلك هى التى كان يسهر معها فى تلك الليلة التى اكشف فيها أمره وبكل ندالة منه باع الشقة دون أن يخبرها، فكانت

صدمة لها عندما أتى إليها المالك الجديد وأخبرها بأنه سيعطى لها مهلة ٢٤ ساعة كى تترك الشقة، فكل شىء مباح فعله عند عاطف فى هذه الفترة وسوف يعوّضه بالأحسن فى المستقبل وهو ما يضمره فى نيته، فلا شىء عزيز عليه فقد هان عليه ما لا يهون على بشر أو حتى حيوان دون أن يهتز له رمش.

وبالفعل جمع حوالى ٣ مليون جنيه تقريبًا هو كل السيولة التى يعمل بها على ما فى حسابه فى البنوك ولكنها ليست كل ما يمتلك فهناك بضائع وأصول وغيرها ولكنها فقط السيولة التى أُتيحت فى هذه الفترة الوجيزة وجاء اللقاء بين عاطف ومعه الشيخ أشرف والسيدة صاحبة الزئبق التى ستبيعه لهم وتُدعى الشيخة صباح.

كان الموعد فى محل إقامتها حيث تسكن فى فيلا فى القاهرة الجديدة أشبه بالقصر وهى امرأة جميلة الوجه حسنة المظهر يتضح عليها قوة الشخصية.

قدم لها الشيخ أشرف عاطف وأخبرها بأنه المشترى الذى جاء من أجل "بلحة الزئبق" فطلبت منه ٥ ملايين جنيه لتبيعها لهم، فى بادئ الأمر رفضت أن تأخذ الـ ٣ ملايين التى معه والـ ٢ مليون آجلا، وبعد مفاوضات كثيرة وعديدة مرهقة استغرقت طويلًا وافقت ولكن بشرط أن تأخذ ضمانات ليس فقط على عاطف وإنما نفسها على الشيخ أشرف كى تضمن حقوقها ١٠٠٪ وأن المبلغ سيزيد من ٢ مليون إلى ٤ ملايين، ورحب الشيخ أشرف ووافق أن يكون ضامن متضامن وتأخذ عليه نفس الضمانات فهو على ثقة كبيرة أنه سيُخرج الكنز ويرد المبلغ مما بعث الطمأنينة فى نفس عاطف فوافق هو أيضًا.

فأخذت على كلٍّ منهما ٥ إيصالات أمانة على بياض دون تفقيط ووصل أمانة مدوَن بـ ٤ ملايين جنيه إذن كل منهم له ٦ إيصالات أمانة إن

لم يردوا باقى المبلغ فى خلال شهرين من تاريخه فمن حقها الرجوع عليهم بالوصولات والمهلة شهران مناسبة لهم جدًا، يكونوا قد أخرجوا الدفائن وباعوها وقبضوا الأموال، وقد أكد الشيخ أشرف إلى عاطف أنه لا يحتاج أكثر من أسبوع أو اثنين على أقصى تقدير لإنهاء المسألة تمامًا، تم الإتفاق وأخذت الشيخة صباح المال والضمانات وأخذا هما بلحة الزئبق بعد أن اختبرها الشيخ أشرف أمام عين عاطف كل الاختبارات.

فالزئبق عندما يوضع على ساعة تتوقف أو تليفزيون يُغلق أو راديو ينقطع الإرسال وإن وضعته أمام المرآة لا يُرى ولا يطبع أثره فى أى قماش أو كلينكس ولا يندمج مع أى سائل آخر.

أخذوا البلحة التى فى جوهرها الزئبق الأحمر ومضوا والتقوا فى اليوم التالى ليبدأوا الخلوة وتحضير الجان واسترضائهم وتقديم القربان لهم حتى يتثنى لهم الوصول إلى باب المقبرة وفتحها والاستيلاء على ما بداخلها.

كان الشيخ أشرف كالعادة يصطحب مساعده وهو الشيخ صبرى وعاطف دخلوا إلى شقة الدور الأرضى جلسوا فى الغرفة المقابلة لغرفة الحفر وشربوا الشاى كواجب ضيافة وقام الشيخ صبرى بخلع جلبابه وقفطانه وبقى بالصديرى والسروال، وكالعادة قام بإشعال الفحم وتبخير المكان ثم أخذ من عاطف مفتاح قفل الغرفة حيث وضعوا لها قفل منذ اليوم الأول ولا أحد يحمل المفتاح غير عاطف فقط

فهو الأمين على المكان وفتح الغرفة ودخل يقرأ ويرتّل ويبدأ التعاويذ ويشرع فى مهامه التى حددها له الشيخ أشرف وظلّ عاطف مع الشيخ أشرف فى الغرفة الأخرى، ودار بينهم حوار عن ما هو المتوقع وجوده فى المقبرة الملكية التى ستصبح فى حوذتهم بعد سويعات قليلة.

ثم جاء الشيخ صبرى يخبر الشيخ أشرف أن الخلوة جاهزة واشتبك مع عاطف فى حوار عما تحتويه غالبًا مثل هذه المقابر الملكية الفخمة وضرب أمثلة مشابهة وقام الشيخ أشرف ودخل إلى الخلوة يختلى بنفسه ويهيئ الأجواء لحضور ملك الجان وتقديم "الزئبق" له الذى سيعيد له شبابه محققًا لهم ما يأمرون به فى المقابل، وبالفعل دخل الشيخ وظلّ وقتًا ليس بقليل ثم خرج عليهم وطلب منهم الوضوء ثم الدخول خلفه إلى الخلوة لبدء التحضير وتحرير الدفائن وطلب من عاطف إحضار "بلحة الزئبق " معه فقد كان هو المؤتمن عليها.

حضر عاطف والشيخ صبرى إلى الخلوة بعد الوضوء... المكان مضاء فقط بالشمع والبخور يسبح فى الغرفة، وأخبراه أن صالح حضر بالخارج فهل يسمح له بالدخول فلم يأذن.

ثم أعطى إلى عاطف ورقة فيها قسم لا بد أن يردده باستمرار لا يتوقف عن ترديده لحين أن يستوقفه هو وسيصاحبه فى ذلك الشيخ صبرى الذى يحفظه عن ظهر قلب...

الشيخ أشرف: – أسمع يا عاطف أنت والشيخ صبرى هترددوا القسم

دة بإستمرار بدون توقف كل ما يخلص تعيدوه تانى لغاية ماأقولكم أنا خلاص الورقة أهى فيها القسم.

عاطف: – طب ممكن تقوله كدة عشان الإضاءة مش كافية

الشيخ أشرف: – قول معاه ياشيخ صبرى وسمعه

وبدأ الترديد حتى أصبح سهلا ومحفوظا بالنسبة له لأنه كان يحمل كلمات متكررة "سميع سميع شفيع شفيع عليم عليم عظيم عظيم حفيظ حفيظ عزيز عزيز، أقسمت عليكم بحق اسمه الأعظم وما يحمله من أسرار أن تحضروا... إلخ".

ثم أوقفهم الشيخ أشرف بإشارة من يديه وبدأ هو فى القراءة بكلمات مركبة مطموسة وتجلى فى المناجاة حيث كان يرتجف عاطف وليس بمفرده أيضًا الشيخ صبرى وبقى هكذا حتى كان يتصبب عرقًا وعروقه تنتفخ فى القراءة، وتتعالى انفعالاته حتى أن صالح الذى كان بالخارج قد أصابه الخوف والهلع مما يسمع فقط من بعيد ويفكر فى الانصراف ويندم على مجيئه من الأساس.

ثم انتهى الشيخ أشرف فى الوقت المناسب فإن أعصابهم كانت لن تتحمل المزيد ولكن الشيخ ما زال بعنفوانه بل إزداد قوة نزل إلى الحفر وبدأ برسم بعض الطلاسم على جدار الحفر بإصبعه حتى وصل إلى نقطة محددة وبدأ الحفر فيها أفقيًا حتى ظهر له شىء خشبى وبالنقر عليه سمع صوته ثم طلب من الشيخ صبرى توسيع هذا الحفر فإنه

يشك أنه الباب، وسريعًا نزل صبرى إلى الحفرة وبدأ فى توسيع ما بدأه الشيخ وطلب من عاطف أن يساعده وينقل التراب الناتج عن الحفر وجلس الشيخ على حافة الحفرة ينتظر تأكيدًا. وبالفعل بدأ يتضح أنه جزء من باب خشبى منقوش بالكتابات الفرعونية ويا لها من لحظة عظيمة يبكى الشيخ ويسجد شكرا على الأرض ويبكى عاطف أيضًا، فقد اتضحت الرؤية إنه حقًا بابًا خشبيًا منقوشًا إنه حتمًا باب المقبرة الملكية طلب الشيخ أشرف من صبرى أن يستمر فى الحفر حتى ظهر ثلثه الأوسط بالكامل يحتاج الحفر بنفس المقدار فى الأعلى وفى الأسفل، وهنا قرر الشيخ الاكتفاء بذلك وصعودهم من الحفرة فالأهم هو تقديم القربان إلى ملك ملوك الجان وتحرير ما بداخل المقبرة ثم بعد ذلك الحفر أمر يسير.

المهم الاطمئنان واسترضاء الجان ثم من بعد استكمال الحفر أعلى وأسفل حتى يوضح الباب بأكمله وحتمًا سيجد مكانًا للمفتاح الذى بحوزتهم وبمجرد وضعه فى مكان يفتح دون أدنى مشكلة وبكل سهولة ويسر، وحينما أخبر الشيخ أشرف الشريف بهذا الإجراء اطمأن قلبه واستكان المهم أن يقدم القربان وتتحرر الدفائن ولا يهم بعد ذلك شىء، وبالفعل بدأ الشيخ تحضير البلحة ووضعها أمامه والجميع رجع للخلف وتقدم فقط الشيخ وبدأ تحضير الجان وبدأت الإضاءة تخفت تدريجيًا؛ نتيجة أن الشموع الضخمة التى كانت موجودة أوشكت على الانتهاء وظلّ يقرأ حتى جاءت صوت صرخة مدوية وتتالت

مرتين أو ثلاثه، فرحب الشيخ بحضور ملك ملوك الجان ترحيب له هيبة وكلمات تقشعر لها الأبدان ثم مسك بالبلحة التى تحتوى على زئبق بداخلها وألقاها فى الحفر فوقفت فوقه لم تسقط أصبحت معلقة ويشع منها النور وإهتزت فى الجو كأنها تقاوم السقوط ثم سقطت وانطفأ نورها وبعد أن أكمل الشيخ العزيمة سقط هو أيضًا نتيجة المجهود المرهق الذى بذله معلنًا بذلك أن الدفائن بالداخل محررة وبمجرد تفريغ التراب من حول الباب وفتحه سيحصلون على ما بالداخل فورًا ولكنه لم يعد يستطيع، فلابد له أن يستريح كما أن الحى قد عم الليل عليه وقد خلى من الزبائن وأغلقت المحلات أبوابها وصوت الحفر سيكون واضح، فربما يلفت الأنظار وكان ذلك من رأى عاطف أن يستكملوا غدًا فرصة أن يكونوا استعادوا قواهم.

وكانت آخر كلمات الشيخ أشرف قبل أن يرحل فى هذه الليلة هو أنه مستأمن عاطف على حقه ويعلم جيدًا أنه لن يتخذ أى إجراء قبل أن يرجع له لأن التصرف فى أى شىء منفردًا قد يضر الجميع وأولهم هو، وبالفعل مشى الشيخ ومساعده وقبل أن يتخطى المنطقة بدأت الأفكار تتصارع داخل عقل عاطف فلما لم يكمل هو الحفر ع الهادى حتى يظهر الباب ككل ويفتح المقبرة بنفسه ويعاين ما فيها فهى كما قال الشيخ أشرف، قد تحررت ثم يعود عن ذلك ثم تغازله الفكرة مرة أخرى لما له أن يبقى تحت رحمة هذا الشيخ، فإن هذا الكنز فى أرضه منذ زمن بعيد وهو ملكًا له ولوالده من قبله فما

الذى فعله الشيخ ليتقاسم معه وبنظّارة الطمع والجشع المتأصل فى داخل عاطف، لم ير أن الشيخ فعل ما يستحق عليه هذه النسبة فهو من دفع الملايين وخاطر من أجل هذه اللحظة ولكنه سيعطيه لا شك ولكن ما يتراءى له أنه يستحقه بحكم هواه وليس بما اتفق جاءت وذهبت الفكرة مرات عديدة. ولكن فى النهاية أخذ القرار أنه سيكمل الحفر ويخرج الكنز قبل أن يأتى الشيخ غدًا ثم حينما يعود سيعطيه مما أعطاه الله وجمع صالح وحازم وأبلغهم بأن كل شىءعلى ما يرام يبقى فقط إزاحة هذا الحاجز الذى أمام الباب حتى يتثنى له فتحه وبالفعل بدأ العمل حتى أزاح التراب عن الباب، وعندما اقترب منه ليفتحه وجد الباب يقع أمامه كقطع البازل يسقط أمام عينيه تحت أقدامه وخلفه جدار مثل الذى أزاحوه وكاد ذلك أن يجنّه... ما الذى حدث كيف تحول الباب كالقصاصات هكذا كيف حدث ذلك هل هناك شىء خطأ قد حدث هو المتسبب فيه، إذن ما الذى سيقوله للشيخ وكيف سيعالج الأمر أهى لعنة حلّت بسبب أنه استعجل الحفر دون وجود الشيخ أشرف وقد علمت الأسياد فعاقبته أم ما الذى حدث؟! حالة من الجنون انتابته ثم فجأة رنّ هاتفه فنظر فيه وجد المتصل هو الشيخ أشرف مسك بهاتفه وتردد فى البداية هل يرد أم لا ولو رد ما الذى سيقوله؟ كل هذه الأسئلة دارت فى رأسه فى جزء من الثانية ثم فتح الاتصال ووضع الهاتف على أذنه ببطء شديد متسائلًا: يا ترى ما سبب اتصاله الآن والآن تحديدًا ووقف أخوه وزوج أخته (حازم وصالح) يشاهدون رد الفعل على وجه عاطف.

عاطف: – ألو

الشيخ: – إيه يا عاطف!

في حاجة بتحصل عندك؟

عاطف: – حاجة زى إيه؟

الشيخ: – ياأخى أنا اللى بسألك

أنت قريب من الخلوة؟

عاطف: – لأ... أنا فى شقّتى

الشيخ: – فى حاجة مش مظبوطة بتحصل

أنا جالى خادم فى المنام وقاللى إن فيه خيانة بتحصل وإن الخاين عقابه الحرمان بصراحة قلقت جدًا قلت أكلمك أطمن بس فا لو مش هتعبك أرجوك إنزل ولع شمعة على باب الخلوة وأطلق البخور عشان أتواصل مع الخدام واطّمن.

عاطف: –ماينفعش لما تيجى الصبح أصل أنا بصراحة نايم وتعبان مش قادر أنزل وإطّمن الباب مقفول والمفتاح معايا

الشيخ: – أنت متأكد... طيب خير إن شاء الله

تصبح على خيير...

أسئلة عديدة تطرقت إلى ذهن عاطف بعد أن أغلق الهاتف وكلها إجابات بديهية ومنطقية جميعها تتلخص فى أن الأسياد قد علمت نيته وقد حرمته ولام عليه حازم وصالح وتركوه بمفرده جانب الحفر ينعى خطأه ويندم أشد الندم، ظلّ يفكر ما الذى سيفعله حينما يأتى الشيخ ويكتشف محاولة خيانته له والتى علمها فى نفس وقت حدوثها، فلابد أن يكون هناك علاج للموقف مستحيل أن يكون ضاع كل شىء بسهولة هكذا وبقى بين الدعاء والندم لم يذق طعم النوم حتى حضر الشيخ أشرف ومساعده الشيخ صبرى والفرحة والبسمة تعلو

وجهيهما، إنه اليوم المنتظر، وجدوا صالح أمام المنزل سألوه عن عاطف أجابهم أنه بالداخل ولم يفعل مثلما يفعل فى كل مرة من الترحيب بهم، وأن يدخل أمامهم كعادته وتركهم يدخلون بمفردهم طرقوا باب الشقة فتح لهم عاطف فيما يبدو من شكله أنه فى حالة إعياء شديدة اصطحبهم إلى الداخل دخلوا وجلسوا فى الغرفة المقابلة لغرفة الحفر واستغرب الشيخ أشرف من حالة عاطف فقد وجده على عكس ما توقَع.

الشيخ أشرف: – مالك يا عاطف شكلك تعبان ومرهق

أكيد طبعًا الفرحة طيرت النوم من عينيك

عاطف: - أنا فعلًا مانمتش وضغطى عالى

الشيخ صبرى: - أبشر ياسيدى... كلها ساعتين وتملى عينيك بالدهب هتنسى التعب

الشيخ أشرف: - أنا عارف إنك كنت مضغوط الفترة اللى فاتت بس هانت ربنا يوفقنا النهاردة وندخل ع الكنز وزى ما الشيخ صبرى قال تملى عينك بالدهب تنسى التعب

يالا ياشيخ صبرى ولع محميتين وإصرف العمار وإستسمح لنا الأسياد ندخل الخلوة

ثم ينظر إلى عاطف الذى ما زال على حالته... ما هو إحنا برضو لازم نستأذن ونستسمح ونطلب بأدب عشان نُرزق ولا إيه!

الشيخ أشرف يجد عاطف سارحًا لا يرد عليه فيمد يده يهزه بها

عاطف: - ها! بتكلمنى

الشيخ أشرف: - لا.. دة أنت مش هنا خالص

فى حاجة حصلت فى البيت الأسرة بخير والحمدلله؟

عاطف: - آة الحمدلله... بس هو فى حاجة حصلت كدة...وربنا وحده يعلم إن أنا كنت قاصد خير بس يظهر كدة إما استأذنتش بس أنا والله العظيم ما كنت أعرف إنى لازم

استأذن.

الشيخ أشرف: - لأ... من فضلك وضّح كلامك قبل ما ظنّى يروح لبعيد.

فقد أخبره عاطف بكل ما حدث ولكن تحت دعوة إنه كان يريد أن يساعده ويأتى يجد كل شىء جاهز على الفتح فقط وهنا حدثت المفاجأة.

فقد تحوّل الشيخ أشرف من شخص هادئ ومتّزن وحواره دائمًا منضبط ومهذب وصوته منخفض إلى العكس بفجاجة ونعته بأشد الألفاظ وصفًا، أنه شخص خائن للأمانة وأنانى وجشع والطمع يملأ قلبه وإنّ فعلته لابد وأن يتحمل عواقبها وحده فلابد أن يعوّضه عن تعبه منذ أن بدأ معه ويدفع ثمن خيانته وإن لم يفعل لن يتركه سيسّلط عليه أشر الجن انتقامًا منه غير أنه سيفضح أمره عند عائلته بأكملها فإن كل حواراته معه هاتفيًا أو وجهًا لوجه مسجلة أما صوتيًا أو فيديو وظلّ يرفع صوته حتى دخل صالح وحازم وحاولوا تهدئته وإبعادهم بخروج الشيخ أشرف، ومحاولة أن يسامحه الشيخ أشرف ويحاول علاج الأمر كانت مطلب صالح وسيضمن هو الاتفاق ولكنه رفض تمامًا محاولته وأخبره أنه مستحيل أن يتعاون معه مرة أخرى وأنه لا يستحق أن يمتلك مثل هذا الكنز، فالخائن يُعاقب بالحرمان كما حكمت الأسياد وتركهم ومضى هو ومساعده فعاد صالح إلى عاطف يخبره بفشل الأمر تمامًا وجده فى حالة انهيار،

ثم سقط مغشيًا عليه فأحضروا له طبيب الذى أمر على الفور بنقله إلى المستشفى فهو فى حالة خطيرة نتيجة صدمة عصبية ولابد أن يبقى تحت الملاحظة وفحصه طبيبًا خوفًا من أن يكون قد أُصيب بجلطة وبالفعل تم نقله إلى المستشفى فى حالة خطرة.

عاطف يرقد فى المستشفى فى العناية المركزة بين يدى الرحمن فى حالة خطيرة وعائلته جميعها فى الخارج تموت رعبًا عليه.

الجميع ينظرون لبعضهم البعض وكأن لسان حال كل منهم يسأل هل سينجو أم يا ترى ما الذى سيحدث؟ والأب يدعو الله ويطلب بأن يدخل إليه عدة مرات ولكن الأطباء قد منعوا الزيارة حتى يفيق ويطمأنوا على حالته سيسمح له بزيارته ولكن لدقائق محدودة، ما يرجوه أبوه فهو يزعم أنه عندما سيدخل إليه ويحدّثه سيفيق فهو يؤكد ذلك.

وبالفعل بعد قليل جاء الطبيب وأخبرهم أنه قد سمح بالزيارة لوالده ولكن لدقائق معدودة ولا يعرّضه لأى انفعال وأن يُطمئنه على نفسه أنه بخير.

وبالفعل دخل والده عليه وجده على السرير ومعلق له محاليل فى يديه على جهاز متابعة النبض والضغط.

الأب: – أنا مش هطول عليك يا بنى

لو سامعنى هز دماغك بس

جاءت هزة رأسه بالإشارة إلى أنه يسمعه

الأب: – طب الحمد لله

أنت يا بنى بخير ما فيكش حاجة... إطمن

واطمّن كمان على الفلوس اللى ضاعت وسبب وجودك هنا

أنا عارف كل حاجة والفلوس معايا والورق كمان اللى أنت مضيته أنت وصالح كمان معايا.

وإن شاء الله لما تتعافى وتقف على رجليك أبقى أفهّمك كل حاجة شد حيلك بس أنت وربنا يقطع عيشك من هنا وتخرج بالسلامة لبيتك ومراتك وعيالك لينا كلام مع بعض.

سمع عاطف ما قاله والده ولكنه كان متعبًا وقلقًا ويائسا للغاية حتى أوشك أن ينجلط بما حدث له ولكن الله قد ستر من أجل والده واطمأن بما قاله والده ولكنه الآن يحتاج إلى الراحة خرج والده من غرفته طلب من حازم أن يوصله إلى البيت، وحينما يكتب له الدكتور الخروج يأتون به إلى البيت، وهنا استغرب صالح من مدى ثقة الأب فى أنه إذا دخل له سيطيب وحينما يخرج من عنده يحدّثهم

أن الدكتور سيأمر بخروجه وكأن هناك شيئًا هو على غير علم به، فحاول أن يعرف من زوجته حنين ولكنها أنكرت معرفة أى شىء وهكذا هناء وحتى ياسمين لم يعط له أحد عقّادا نافعا.

وحينما يعود عاطف إلى منزله بعد زوال الخطر عن صحته ينكشف لنا أن والده على علم بكل ما حدث، بل وهو الذى كان يدبره وأنها من الأساس فكرة ياسمين عندما وجدت أبيها حائرًا غاضبًا نادمًا على أنه ملّك كل شىء لابنه عاطف الذى اتضح له فيما بعد أنه غير أهل لما حمله له ولم يصن تلك الأمانة التى اختصّه بها وظنّ أنه حق مكتسب له وحده، ولكنه أخفى عن الجميع أن ياسمين هى صاحبة الفكرة وعاونتها فيها هناء وحنين وكلٌّ لديه مبرره.

هناء اكتشفت خيانته لها وأنّ المال هو ما أفسده، أما ياسمين وحنين فكانا لا بد أن يعاونا أباهما على استرداد أمواله وبذلك اتسردا حقهما الذى سيصبح كذلك بعد موت أبيهم بعد عمر طويل.

ولكن هناك أسئلة كثيرة... من أين أتوا بذلك الشخص «الشيخ أشرف» وهل هو حقًا شيخ وإذا لم يكن هكذا فكيف فعل ما كان يفعله أمام عينه من سحر؟ والسيدة العجوز ساكنة المقابر «تحفه» الذى دلّتهم أيضًا على الشيخ فقد ذهبوا لها بالصدفة والمجذوب؟ وكيف استرجع أبوه الأموال بعد أن دفعوها ثمن الطقش المغربى وكيف استردّ ثمن الزئبق الأحمر؟ ولماذا لم يستخرج الكنز؟ فالأب يعلم منذ زمن بعيد.

كان يريد عاطف ردًا على كل هذه الأسئلة من أول ما حدث لياسمين وتفسير الحلم المطابق لبعضه بين أشخاص ليس بينهم أى علاقة "الشيخ على" و"تحفه" ورؤيته ورؤية صالح المكمّلة لرؤيته، ولكن الأب أخبره أنه لا يستطيع أن يطلعه على كل ما حدث، من الأفضل له قبل أى أحد ولكنه سيخبره بأمرين فقط... الأمر الأول: هو أنّ المال جميعه الذى فقده عاطف الآن فى حوزة الأب. أما الأمر الثانى: أنه ليس هناك كنز ولا مقبرة فرعونية ولا شىء من هذا القبيل. كل ما فى الأمر أنه منذ زمن بعيد حينما أقبل الأب على شراء هذه الأرض لبناء البيت كانت تلك المنطقة خاوية لا أحد يبنى ولا يسكن بها نصحه صديق له كان شيخًا يتبارك به من صعيد مصر أن ينشر إشاعة أن المنطقة بها كنوز ومُرزقة حتى يقبل الناس عليها وتُعَمر المنطقة وتتأهل بالسكان وبالفعل فعل الأب سعد نيازى بنصيحة صديقه "الشيخ صادق" وسرب إشاعة أنه وهو يحفر وجد أثر فرعونى يدل على أن هناك كنزا تحت الأرض وانتشرت الإشاعة كالنار فى الهشيم وحققت الغرض منها وقتها.

وأن هذا الشيخ صادق هو والد الشيخ أشرف، فحينما طلب الأب مساعدة الشيخ أخبره بأن صحته لا تساعده على السفر من أقصى صعيد مصر إلى القاهرة والعودة ولا حتى للعمل ولكنه سيرسل له ولده أشرف ليساعده، أى أنه شيخ فقد ورث المشيخة عن أبيه ولكن عاطف صمم أن يعرف التفاصيل فلم يجدها عند أبيه وقد أخبره

والده «أسعد نيازى» أن لا أحد يعلم شيئًا غيره هو والشيخ أشرف وأنّ الأب فعل ذلك خوفًا عليه من المال أن يكون سبب فى عقوق أبيه وغضبه عليه ومن شيطان نفسه الذى ضله وأغرّه ووسوس له بأكل حقوق أخواته بالباطل، وفى الأول والأخير هو ماله وما زال على قيد الحياة فمن حقه أن يسترده، وليعلمه درسًا أن أحيانًا كثيرة يصبح المال نقمة يمكن الطمع فيه وقد يهلك صاحبه.

ولكن عاطف قرر أن يعرف التفاصيل كاملة وهذا لن يحدث إلا إذا توصّل إلى الشيخ أشرف الذى حاول الاتصال به كثيرًا ولكن هاتفه مغلق باستمرار، فهناك ثأر بينهم فلا يمكن لأحد أن يفعل ما فعل، فقد سلب منه كل ما يملك باقتناع تام منه، ورغم أن والده أخبره كل ما حدث وراءه بعينه كان مجرد خفة يد على شىء من الفيزياء وليس بحقيقى ولكنه قرر أن يبدأ فى رحلة البحث عن الشيخ أشرف الشريف...

الشيخ أشرف الشريف

الآن لابد وأن نعرف من هو الشيخ أشرف الشريف إلى أن يعثر عليه عاطف، لنعرف كيف فعل بعاطف ما فعل واستطاع أن يقنعه تمامًا بملعوبه الشيطانى.

قبل أن نعرف كيف استطاع الشيخ أشرف الشريف خداع عاطف أو هل سيستطيع عاطف الوصول إلى الشيخ أشرف؟ وإذا وصل إليه فعلًا ما الذى سيفعله معه؟ وما ستكون هى ردة فعل الشيخ أشرف.

أشرف الشريف هو ليس اسمه الحقيقى وإنما اسمه أشرف صادق عبد المتين من أقصى صعيد مصر أربعينى العمر، وهنا أودّ أن أذكر نفسى وإياكم ما قاله الله عزّ وجل لأصحاب سن الأربعين بسم الله الرحمن الرحيم "حتى إذا بلغ أشدّه وبلغ أربعين سنة قال رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت علىّ وعلى والدىّ وأن أعمل صالحًا ترضاه وأصلح لى فى ذريّتى إنى تبت إليك وإنى من المسلمين * أولئك الذين نتقبل أحسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم فى أصحاب الجنة وعد الصدق الذى كانوا يوعدون" الأحقاف (١٥، ١٦)

فى الأربعين يبلغ الرجل شدة قوته ويكتمل عقله وتكتمل حجة الله عليه ووعد الله للمؤمنين الذين تابوا إليه أن يتقبل حسناتهم ويتجاوز عن سيئاتهم ويدخلهم الجنة والله لا يخلف وعده أبدًا.

كان أشرف فى سن العشرين لم يفارق والده، كان معه مثل ظلّه والده الشيخ صادق عبد المتين هو أحد أشهر مشايخ الصعيد يعالج بالرقية الشرعية ويفكّ الأعمال السفلية ويتواصل مع الجان وعالم الجان، حتى أنه اشتهر بأنه بارع فى خروج الجان وفك المربوط وتزويج العانس وهناك من كان يقصده حينما تمرض ماشيته، فقد ذاع صيته فى محافظات وجه قبلى بالأخص وتناقلت معجزاته فى هذا المجال حتى وصل دول الخليج عن طريق المصريين الصعايدة العاملين هناك فكانوا يقصدونه الكثير من دول الخليج سواء للعلاج أو لفك السحر وما شابه ذلك.

فى هذه الأثناء كان أشرف ملازمًا لوالده فقد كان هو أكبر إخوته البالغين أحد عشر أخًا ولكنه الوحيد الذى أحبّ ما يصنع والده ووجد فيه سبيل لما يريد فتتلمذ على يد والده الذى لم يبخل عليه بكل ما يملك من أسرار المهنة.

ورغم علام أشرف المتوسط إلا أنه كان موسوعة معلومات فى العالم السفلى وعالم الدجل والشعوذة، كان شغوفًا أيضًا بالتكنولوجيا واستخداماتها فدمج الاثنين معًا وخلق لنفسه أسلوبا خاصا به، فلكل شيخ طريقة.

كان مقتنعًا تمامًا بأن كل هذا دجل وشعوذة وأنّ الصدفة والحظ وذكاء الدجّال وخفة يده هى السبب الوحيد لنجاح أفعاله التى هى فى الأساس تندرج تحت حكم الشرك بالله.

وبالتأكيد إنّ الله عز وجل سيعاقب أشدّ العقاب أصحاب تلك الأفعال الذين يفترون على الله كذبًا أو الذين يكتبون الكتاب بأيديهم ويقولون هذا من عند ربى أو يشاركون الله زورًا وبهتانًا فى علم الغيب.

ولذلك قرر أن يكون حصاد هذه الأوزار يستحق أن يتحمل كل هذه الذنوب، هكذا هو يرى وبعد أن أصبح متمكنًا وملمًّا بكل ما يحدث من مواقف قد تواجهه أثناء ممارسة دجله وكيفية السيطرة عليها.

وبات ضليعًا فى إيهام زبائنه والسيطرة على عقولهم وإدارتها، فعن طريق لغة جسد ما أمامه يستطيع أن يوجه تفكيره واختياراته.

جاء إلى القاهرة وهو فى الثلاثين من عمره بعد أن تعلم جيدًا وقرر أن يعمل وحده فترك الصعيد بأكمله حتى لا ينافس والده وحتى لا تصل أفعاله إلى والده أو يعرف عنه أحد شيئًا.

استوطن فى منطقة السيدة عائشة ولعب بالبيضة والحجر وصنع لنفسه مجالا هو رائده وأخذ ينتقل فى أضرحة آل البيت الموجودة فى القاهرة ويفعل الخير ويزيد فى كرمه على الدراويش والسائلين

الملتفّين حول تلك المساجد وأمام ساحتها حتى أصبح معروفًا لديهم ولطلّته حضور، فاختار لنفسه اسم أشرف الشريف انتسابًا للأشراف، أى من نسل النبى وأصبح شيخا صوفيا يقيم حضرة أسبوعية لذكر الله ومدح الرسول تلك هى الواجهة التى أراد أن يبنيها لنفسه لجذب زبائن من علية القوم أصحاب الحسابات البنكية المنتفخة، والطامعون فى الأكثر منهم من يقنعه أن تحت منزله كنز أو فى مزرعته مقبرة تحتوى على تماثيل فرعونية أو الزئبق الأحمر الذى يسخّر الجان لفعل ما يريد، فالجان قادر على فعل كل شىء مستحيل كسرقة مليارات الدولارات من البنك المركزى الفيدرالى الآن فى لحظة وحضور الأموال أمامك أو استخراج الأعمال المدفونة وفك سحرها أو رد المطلّقة وجلب الحبيب وزواج العانس وموافقة الأهل على شريك الحياة كانت تلك الأعمال بالنسبة له بسيطة جدًا يقوم بها عن طريق التليفون أو عن طريق "الواتس آب" و"الإيمو" وغيرها من برامج التواصل ويقبض الثمن بتحويلات بنكية الأغرب أن تقريبًا معظم أعماله وأفعاله كان يصاحبها التوفيق وتنجح وكأن الله عز وجل يريده أن يبقى وتزداد أعماله وآثامه ويكون عقاب للكثير من الناس التى تستحق هكذا تُعاقَب.

ربح أشرف الكثير من هذه الشغلانة وتعددت أملاكه فى بلده مسقط رأسه وأيضًا فى القاهرة أصبح يمتلك الكثير من العقارات والشقق وغيرها، فيها من يستقبل فيها ضيوفه وفيها من يؤّجرها، كان يحافظ

على شياكته ويرتدى أفضل الملابس والساعات والنظارات حتى وإن ارتدى الجلباب يحرص أن يكون تفصيلا من أفضل الأقمشة ويحافظ دائمًا على وقاره حتى فى سيارته، رغم أنها موديل حديث وسيارة رياضية، لكنه يحرص على شكله كونه شيخ مشايخ كما يدّعى هو، ولإحقاق الحق هو لم يكن همه الأول والأخير جمع الأموال فقط بل كانت متعته الحقيقية تكمن فى تنفيذ ما يدّعى وصدقه فيما يعمل حتى وإن كان حرامًا ولكنه كان يتقن عمله لدرجة الإبداع فيه وكان كثيرًا من الأعمال لا يتقاضى عنها أجرا ماديا ويكون أكثر سعادة حينما تنجح أكثر مما يتقاضى عنها أجرا وتحديدًا فى هذه المسألة سألته ذات مرة قلت له:

إننى أراك دائمًا فرحًا بنجاح الأعمال التى لا تتقاضى عنها أجرا أكثر مما يكون عائدك المادى بها كبير؟

كان رده أن الأجر الذى يتقاضاه بيكون دافع إنك تبدع كى تقبض، أما دون الأجر فهى مقياس أننى لم أفقد حماسى أو إخلاصى للعمل.

وأيضًا يعتبر نجاح العمل الذى لم يتقاض عليه أجرا هو عمولة للعمل القادم أو بمثابة كارت تعارف، فسوف يأتى عن طريقه الكثير من الزبائن سيأتى بهم من قام بخدمته دون مقابل كمحاولة منه للوفاء بالدين.

وأنا شاهد على أنه اصطحبنى ذات مرة وذهبنا أماكن، أنا الذى

أعيش فى القاهرة منذ ولادتى لم أسمع بها أو أزورها من قبل ولم أتخيل أن هناك أناسا يعيشون فى مثل هذا المستوى المتدّنى من العيشة، بل أستطيع أن أقول إن أى أحد منا رأى ما رأيت لا يأمن على دفن جثة أحد غال عليه بعد موته فى مثل هذه الأماكن.

كان يدفع لكثير مما يقطنون فى هذه الأماكن اللا آدمية إعانات مادية ليساعدهم.

فقد عرفته متصدقًا بفعل الخير يساعد المحتاج ويعطى السائل أكثر من سؤاله.

أنا لا أبرر له ما يفعل ولكن الأمانة اقتضت علىّ أن أذكر حسناته كما ذكرت مساوئه، لا شىء غير أننى أريد أن ترونه مثلما رأيته والتناقض القوى جدًا والواضح فى القيم بين قيمة الخير وقيمة الحق بين الإحسان والشر، وكانت هى تلك أبرز ملامح شخصية أشرف الشريف.

بعدما تعافى عاطف من محنته واسترد عافيته كان يشك فى كلام والده أن كل شىء أصبح فى حوزته، كان يظن أنه يقول ذلك لمجرد أن يخفف على عاطف صدمته ولكن والده أثبت له صحة كلامه حينما أطلعه على الأوراق التى مضاها هو وصالح للسيدة صباح صاحبة الزئبق وإيصالات الإيداع التى ودعت بها الأموال التى كانت تُسحَب منه ولكنه لاحظ أن كل إيصالات الإيداع اسم المودع هو "ياسمين

أسعد نيازى» ولكنه لم يعلّق على هذا الأمر فى حينه بتاتًا ولكنه أثار حفيظته جدًا وكاد الفضول أن يقتله.

ما علاقة ياسمين بالأمر؟! حاول معرفة تفاصيل أكثر من والده وأن يحكى له كل شىء بالتفصيل ولكن كالمرة السابقة دون جدوى، وكان مبرر والده فى الأمر أنه أراد فقط أن يقوّمه ويعيده إلى رشده بسحب الثقة منه بعدما انصاع لشيطان نفسه والتفكير فى الاستيلاء على أموال أبيه المؤتمن الوحيد هو عليها وخيانة أبيه وإخوته من بعده، ورغم أنه قد سامحه ولكن هذا لا ينفى أن عقابه واجب وسيكون عقاب الخيانة هو الحرمان من كل الصلاحيات التى كان يتمتع بها وأن يتساوى مع إخوته فى كل شىء ولا سلطان على أحد

إلا فى حدود أنه الأخ الأكبر.

كانت لطمة قوية جدًا على وجه عاطف ولكن الضربة الأقوى أنه لا يعرف علاقة ياسمين بالأمر وكيف استطاع أشرف خداعه بهذه الطريقة التى لم يشك بها لحظة فقد رأى كل شىء بأم عينه وما زال هناك شاهد أصيل على خداعه وهو التمثال الذى ما زال بحوذته فحينما تذكّر ذلك قام مفزوعًا دخل غرفته سريعًا وفتح خزنته ليبحث عن التمثال فلم يجده، كانت هناء قد رأته يدخل الغرفة مندفعًا فدخلت خلفه فسألها على التمثال قالت إنها أعطته لياسمين فجنّ جنونه وأصبح كالمجنون كيف عرفت ياسمين أن هناك تمثال فى خزنتى وحينما وجدته هناء بهذا الانفعال الشديد أدركت أنها أخطأت وما

كان عليها أن تقول ذلك فحاولت إصلاح الموقف وقالت إنها أعطته لياسمين حتى تعطيه لأبيك بناءًا على طلبه، لم يكن لياسمين علاقة بالموضوع غير أنها أوصلته لأبيها ففى هذا التوقيت كنت أنت راقد فى المستشفى ولم أستطع إخبارك بذلك.

كل هذه الأمور زادت من تصميم عاطف معرفة كل شىء وهذا لم يتحقق سوى بالوصول إلى المحرك الرئيسى للأمور وهو أشرف.

ولكن كيف وأين يجده؟ ومن أين يبدأ البحث؟ جلس عاطف يسترجع ما حدث ليمسك طرف الخيط، وتوصّل إلى أن اللعبة بدأت منذ أن كان فى صلاة الفجر هو وهناء فى السيدة نفيسة حينما قابلهم المجذوب ثم تقابلوا مع السيدة "تحفة" إذَن فستكون البداية من نفس المكان ولكن التوقيت مختلف هذه المرة ستكون بعد صلاة المغرب.

ذهب عاطف إلى السيدة نفيسة وأدى فريضة الصلاة صلاة المغرب ثم زار الضريح وقرأ الفاتحة ودعى الله متصدّعًا إليه ومتوسّلًا بآل بيت النبى "صلى الله عليه وسلم" أن يساعده ويهديه إلى أن يعثر على المجذوب أو حتى يصل إلى السيدة "تحفة" استمر فى الدعاء طويلًا ثم بعد ذلك جلس أمام مقام السيدة فى أحد زوايا المسجد ودلى رأسه ساندًا ذراعيه على ركبتيه محمّلًا عليهما جبينه فوجد من يربت على كتفه ففتح عينيه ورفع وجهه للأعلى اتجاهه فكانت مفاجأة غير متوقعة أبدًا ليجده الشيخ أشرف.

كان عاطف فى هذا الوقت لم يكن لديه أمل نهائيًا فى أن يصل إلى الشيخ أشرف مباشرةً وكان يعلم أن ذلك سيستغرق منه الكثير إلى أن يجده إن حالفه الحظ، ولذلك هذه المفاجأة غير المتوقعة بالمرة لها أثر واضح على عاطف فقد أصابته بالذهول والصمت لم يكن عاطف جاهزًا لهذه المواجهة لم يستعد لها فليس لديه أى شىء يدين به أشرف أو يلوم به

عليه باعتراف والده.

حينما رفع عاطف وجهه ووجد الشيخ أشرف كان غير مستوعب، ففزّ واقفًا وجهًا لوجه مع الشيخ أشرف فخرج منه استفهام عفوى.

عاطف: - مين؟!

الشيخ أشرف: - مين إيه يا راجل؟

أنت فقدت الذاكرة ولا إيه؟

هو أنت متعرفش إن دعوة فى حضرة مقام نفيسة العلم والعلوم مستجابة ولا إيه؟

عاطف: - «مرددًا» نفس الكلمة الاستفهامية

مين؟!

الشيخ أشرف: - لأ...

أنت حالتك صعبة أوى.

فأشار الشيخ أشرف بيديه لأحد خُدّام المقام فتحرك مسرعًا وكأنه كان ينتظر الإشارة وجاء حاملًا بيده زجاجة مياه فيها عدة أعواد من النعناع الأخضر ومكعبات الثلج وباليد الأخرى أكواب بلاستيكية، أخذ منه الشيخ أشرف كوب صبّ له فيها من زجاجة المياه كان فى البداية عاطف مترددًا يمدّ يده بأخذ كوب الماء المنعنع من الشيخ أشرف، ولكن لم يستمر تردده طويلًا فصرخ عليه الخادم بقوة.

الخادم: - مد إيدك خد البركة من الشيخ وحبّ على إيده وجع فى إيدك.

وما كان من عاطف إلا أنه أمسك من يده الكوب ولم يشرب، كان الخادم قد أعطى الشيخ أشرف كوب آخر وملأه له وبدأ يشرب الشيخ أشرف، وعندما رآه عاطف يشرب شرب هو أيضًا وكأنه كان يريد أن يطمئن أولًا فقد فقد الثقة، أثناء ذلك كان المنادى ينادى بإقامة صلاة العشاء.

الشيخ أشرف اصطحب عاطف من يده بعدما شكر الخادم، وحاول الخادم تقبيل يده فأخرج من جيبه (اللى فيه النصيب) ووضعه فى جيب جلباب الخادم الذى رفض بشدّة فى البداية أن يأخذ شيئا ولكن الشيخ أشرف وضعها له ومضى فى الاتجاه خارج الضريح دخولًا إلى المسجد.

الشيخ أشرف: - متوضّى ولا تحب تجدد وضوءك

عاطف: - لأ متوضّى

الشيخ أشرف: - طب تعال... تعال نصلّى ونطلع سوا نتعشى وندردش عشان أنا عارف دماغك بتودّى وتجيب مش مرتاح نفسك تعرف حاجات كتير.

عاطف: - أنا عاوز أعرف بس...

الشيخ: - " يقاطعه " تعالى بس الأول نصلّى وبعدين نتكلم تعالى

وقف الشيخ أشرف وجانبه عاطف يؤدّيان صلاة العشاء، الجميع خاشعون فى الصلاة والمسجد ممتلئ عن آخره وما أعذب صوت الإمام وهو يتلو آيات من الذكر الحكيم وعاطف يصلّى معهم حركيًا فقط وعقله فى وادٍ آخر يرتب ما سيقوله للشيخ أشرف وما هى الأسئلة التى يريد أن يجيب له عنها.

وما إن انتهت الصلاة وتم التسليم وبعد الدعاء والتسبيح نظر الشيخ أشرف خلفه وكأنه يعرف أن فى أحد على مقربة منه ينتظره فميّل على عاطف قائلًا له:

الشيخ أشرف: - فين الرقم بتاعك؟!

عاطف: - مين؟!

الشيخ أشرف: – هو أنت اللى طالع عليك مين مين لحنها أحسن

فين الرقم اللى أدهولك العامل لما عاطته مداسك ولا جاى
حافى ولا أنت إيه حكايتك؟!

عاطف: – آه... أهو معايا

وأخرجه من جيبه فأخذه الشيخ ووضعه مع رقمه وأشار إلى الذى ينتظر على مقربة فأعطاه الرقمين، فأخذهما وذهب إلى باب المسجد وأخرج الحذاءين وجلس خارج المسجد يلمّعهما بالورنيش.

لمن لا يعرف... حينما نذهب للسيدة نفيسة أو مسجد سيدنا الحسين أو السيدة زينب أو حتى مسجد محمد على فى القلعة أو أى مسجد من المساجد الكبيرة التى دائمًا تكون مزدحمة والمتردد عليها أعداد كبيرة من الزائرين، حينما تدخل المسجد لابد أن تخلع مداسك وهناك جزّامة كبيرة يقف عليها عاملون وأحيانًا أكثر تعطيه مداسك يعطيك رقما، وبعد أن تنتهى زيارتك للمسجد وفى الخروج تذهب عند نفس الجزّامة تعطيه الرقم يعطيك حذاءك.

حينما وصل الشيخ أشرف وعاطف إلى باب المسجد للخروج كان الرجل قد أنهى تلميع الأحذية وأتى بهم ووضعهم على الأرض ووقف على جنب فى انتظار حضور الشيخ وبالفعل لبسوا أحذيتهم وأعطى الشيخ أشرف اللى فيه النصيب لملمّع الأحذية والذى رفض كسابقه فى البداية أخذهم فوضعهم له فى جيبه وأقبل على يده ليقبّلها ولكن

الشيخ قد سحبها وهذا المشهد متكرر قد رآه عاطف عدة مرات...

الشيخ أشرف: – إيه ياأخ عاطف أنت صامت ليه كدة مالك لسه مصدوم؟

عاطف: – بصراحة ياشيخ أشرف أنا محتار بين اللى بشوفك بتعمله وبين حقيقتك.

الشيخ أشرف: – حقيقتى

تعال بس جنبى عشان العربيات (السيارات) ما تلوشكش

كان الشيخ أشرف وعاطف قد مشيا عدة خطوات ثم وقفا على جانب الطريق وجاءت سيارة الشيخ أشرف (الجيب فور باى فور) وقفت له وترجّل منها السائق بالخطوة السريعة فتح باب السيارة للشيخ وأخذ العباءة من على كتفه ثم فتح الباب الذى خلف كرسى السائق وأخرج الشمّاعة ووضع عليها العباءة وعلّقها وأغلق الباب وجلس على عجلة القيادة كل هذا وعين عاطف تصاحب حركته وكأنه يرى عرضا على المسرح ومعجبا بأداء أحد الممثلين.

نظر الشيخ أشرف فوجد عاطف ما زال واقفًا على الأرض لم يركب فقال له...

الشيخ أشرف: – أنت لسة واقف يا عاطف ما تركب يا راجل

عاطف: – أنا معايا عربيتى راكنها فى الموقف اللى أدام المسجد

الشيخ أشرف: – فين هى؟!

عاطف: – أهى اللى واقفة هناك دى

وشغّل عاطف الإنذار فرأى الشيخ السيارة فطلب من السائق أن ينادى على عامل الموقف.

الشيخ أشرف: – والنبى يا أبو خالد إدى كلاكس لبتاع الباركينج خليه ييجى

أبو خالد: – تحت أمرك يا عم الشيخ

وبالفعل نادى عليه بالكلاكس فسمعه وتحرّك إليه مسرعًا

الشيخ أشرف: – إركب ياأخ عاطف وهنسيب العربية هنا وأنت مروّح أبو خالد هيوصلك هنا تاخدها.

فنظر عاطف إلى أبو خالد السائق وكأنه يشبّه عليه فأعاد عليه الكلمة الشيخ أشرف مرة أخرى بصوت أعلى...

الشيخ: – ما تركب ياأخ عاطف

هو أنا هفضل طول الليل أقولك أركب وأنت واقف مكانك

كان منادى السيارات قد وصل إليهم

أبو خالد: – العربية اللى واقفة هناك دى تبع عمّك الشيخ

فنظر المنادى وجد الشيخ أشرف فجرى مسرعًا ولفّ وجاء له من الشباك المجاور ومدّ يده أخذ يد الشيخ ليقبّلها كان الشيخ ممسكا (باللى فيه النصيب) ليعطيه له فى نفس اللحظة وتجدد المشهد مجددًا، رفض المنادى بشدة فى البداية طالبًا البركة ودعوة فقط من الشيخ ولكن الشيخ وضعها له فى جيبه...

الشيخ: – العربية اللى هناك دى بتاعت أستاذ عاطف إبن عمى خللى بالك لحد ما ييجى ياخدها.

المنادى: – فى عينيا يا عم الشيخ وهخلى الواد يروّق عليها ويغسلها ويلمّعها

الشيخ أشرف: – يبقى كتّر خيرك

المنادى: – أنت تؤمرنى يا عم الشيخ

الشيخ أشرف: – يللا يا أبو خالد إطلع على البيت مش فيه وكل فى البيت ولا ناخد معانا عشان نعشّى الأستاذ عاطف.

أبو خالد: – استاذ عاطف لسة بيشبّه عليا مش فاضى يا عم الشيخ

عاطف: – مين؟!

الشيخ أشرف: – أهو من ساعة ما قابلته والإشارة مظبوطة على...

مين؟!

ما قالش غيرها

عاطف: – لا والله أبدًا بس أنا فعلًا حاسس إنى شوفته قبل كدة بس مش عارف أجمّعه.

الشيخ أشرف: – أقولك أنا ونخلصوا

أبو خالد: – لا والنبى يا عم الشيخ سيبه هو يحاول يفتكر لوحده

الشيخ: – يبقى النغمة هتفضل على مين؟! مين! مين!

أبو خالد: – يعنى مش هنسيبه كتير لو معرفش لحد ما نوصل هنقوله قبل ما يطلع البيت

عاطف: – هو إحنا رايحين بيت مين؟!

الشيخ: – مين برضو

أبو خالد: – رايحين الخلوة بتاعت عم الشيخ

الشيخ: – هنروح نفسّخ خلجاتنا ونتعشى ونقعد على راحتنا وأحكيلك الحكاية وأريّحك نفسيًا

عاطف: – هو أنت منين يا أبو خالد؟!

الشيخ: – مش معايا خالص...هو جاله الهسهس

خلاص يا أبو خالد يا أخى قوله وريّحنا

أبو خالد: – سيبه شوية والنبى يا عم الشيخ

أنا من الصعيد يا أستاذ عاطف.

أمسك الشيخ بهاتفه وفتح أحد «أبلكيشنات» المحادثة وانشغل بها وظلّ طول الطريق عاطف يجمع معلومات عن أبو خالد بأسئلة يجاوبه عنها ولم يستطع تحديد أين قابله ولكنه متأكد أنه يعرفه، وتأكد أكثر حينما طلب أبو خالد من الشيخ أشرف ألا يكشف عن هويته وأخيرًا وصلوا وما زال الحوار مستمر بين عاطف وأبو خالد فانتبه لهم الشيخ أشرف فوجد عاطف ما زال فى حيرته.

الشيخ أشرف: – أبو خالد أو الشيخ موسى دة بلدياتى وصاحبى وصديق عمرى والمساعد بتاعى.

عاطف: – المساعد بتاعك؟!

أومال الشيخ صبرى دة إيه!

الشيخ أشرف: – الشيخ صبرى يقول لموسى ياعمى هو اللى مربّيه ومعلّمه

عاطف: – عمه أخو أبوه؟!

الشيخ: – عمه فى المهنة هو اللى معلّمه المشيخة

ركن أبو خالد فى مكان السيارة المخصص وترجل سريعًا نفس الخطوات التى سبقت ركوب السيارة، ولكنها بالعكس هذه المرة فتح موسى الباب الخلفى التقط الشمّاعة أخذ من عليها العباءة ثم أتى فتح باب الشيخ، أشرف نزل من السيارة ووضع موسى العباءة على كتفه وأغلق باب الشيخ ثم فتح باب السيارة أيضًا لعاطف وهو نازل تقمّص موسى نفس الشخصية التى قابل بها عاطف سابقًا، وهى شخصية المجذوب الذى أوصلهم فى البداية إلى الست تحفة وقال لعاطف بنفس أداء المجذوب...

أبو خالد: – أنت هتلاقى الكنز

عاطف: – أنت المجذوب... أنت اللى وديتنى للست تحفة وبدأ صوته يرتفع فبدأ الشيخ ينظر للأعلى على البلكونات والشبابيك ليرى هل هناك من يتابعهم من الجيران.

الشيخ: – طب يللا بينا نتكلم فى الشقة أحسن.

وسبق هو وخلفه أبو خالد وعاطف وكانت صدمة لعاطف وحينما وصلوا إلى الشقة ودخلوا إلى المجلس العربى مباشرةً من باب الشقة وهو يتمتع بخصوصية عن باقى الشقة...

الشيخ أشرف: – اتفضل يا أستاذ عاطف أهلًا وسهلًا أدخل معاه يا

أبو خالد هغير الخلجات وجاى.

وانصرف إلى غرفته لتغيير ملابسه وظلّ عاطف ينظر إلى موسى أو أبو خالد كما يناديه الشيخ أشرف وكأنه يتأكد أنه فعلًا المجذوب.

عاطف: – بس أنت ما شاء الله عليك محترف تمثيل بتعرف تعمل كذا شخصية مش ممكن حد يقول إنك مش كدة أبدًا.

أبو خالد: – ربنا يخليك يا أستاذ عاطف

عاطف: – ربنا يخليك يا أستاذ عاطف!

على أساس إنى بشكر فيك

أنا بندب على حظى الهباب

أبو خالد: – لا ما تقولش كدة... أنت زى الفل

كان الشيخ أشرف قد أنهى تغيير ملابسه وعاد إليهم

الشيخ أشرف: – منور يا أستاذ عاطف

ما تقوم يا أبو خالد توصّلنا على العشا

أبو خالد: – جاهز يا عم الشيخ أنا كنت مستنى تغيّر الخلجات عشان يبقى سخن

قام موسى مسرعًا إلى المطبخ ليحضّر الطعام وهو فى الاتجاه ينده

أبو خالد: – يللا ياصبرى هات الوكل وعلق ع الشاى.

خرج صبرى أو كما كان يناديه الشيخ أشرف أثناء حفرهم فى بيت عاطف الشيخ صبرى حاملًا صينية كبيرة عليها ما لذّ وطاب من الطعام؛ بط وفراخ وملوخية ورز وكشك وسلطة ومخلل وعيش وشوربة، ووضعها أمام الشيخ ثم نظر إلى عاطف الذى ينظر إليه باستغراب شديد.

صبرى: – اتفضل يا عم الشيخ... ألف هنا وشفا

إزيك يا أستاذ عاطف

عاطف: – الله يسلمك يا عم الش "ثم قطع الكلمة" ياصبرى

الشيخ أشرف: – استاذ عاطف لسة مذهول عامل زى السواح شغّال يتفرج علينا زى ما يكون بيتفرج على الأثارات.

صبرى: – طب ما ترقيه يا عم الشيخ

الشيخ أشرف: – ياكل بس وأرقيه وهيبقى زى الفل

يللا يا أستاذ عاطف مد إيدك بس الله دوق طبخ صبرى

وشرع الشيخ أشرف فى الأكل ومد يده قطع من البطة ووضع أمام

عاطف وأبو خالد أعطى له المعلقة وبدؤوا يأكلون، فجاء صبرى إلى الشيخ ونزل على ركبتيه ومد يده وخلع جوارب الشيخ أشرف.

الشيخ أشرف: – خليك ياصبرى أنا هخلعه

صبرى: – وماله يا عم الشيخ خلينى آخد البركة بخلان عليّا بيها ليه

وبالفعل أخذ الجوارب ومضى ليغسله مع باقى غيارات الشيخ، وهم يأكلون مرّ عليهم بطبق غسيل به بعض الملابس المغسولة كى ينشرها فى البالكونة.

ولم تقلّ حالة الذهول عند عاطف بل زادت فمنذ عرف هذا الرجل وهو يرى أشياء لم يستوعبها بسهولة كلها خادعة ومغايرة فى الحقيقة عمّا يرى.

قبل أن ينتهى الشيخ من الأكل بدقيقة كان أبو خالد أتمّ طعامه وقام ذهب إلى الداخل وحينما عاد كان الشيخ بالفعل قد شبع ووقف عن الأكل فاقترب إليه حاملًا طبق به ماء دافئ يتصاعد منه البخار وتفوح منه رائحة المورد وعلى كتفه منشفة "فوطة" غسل يديه فى الطبق وإلتقط المنشفة من على كتفه نشّف فيها يديه واصطحب أبو خالد الأستاذ عاطف إلى الحمام الذى يقبع فى هذه الغرفة التى يجلسون فيها، مما زاد من استغراب عاطف إذا كانت الغرفة ملحقة بحمام إذن لماذا أحضر أبو خالد الماء إلى الشيخ ليغسل يده فى مكانه وكأنه سلطان القلعة.

كانت تلك الأمور غريبة على عاطف ولكنها من عادات الصعيد فهناك النساء لا تُكشَف على الرجال الأغراب حتى ولو كانوا ضيوف فى منزلهم فيقوم رجال الدار بواجبات الضيافة والكرم ويقوم الأصغر بخدمة من يكبره وضيوفه والأكبر سنًا ومقامًا يتسابق الجميع فى خدمته.

هكذا وضّح أبو خالد له الأمور عندما رأى على وجهه علامات الاستغراب والاندهاش تزداد شيئًا فشيئا.

حينما عادوا إلى مجلس الشيخ جدد الترحيب بعاطف كان صبرى جاء ببراد الشاى والكوبايات وطبق صينى أبيض صغير فارغًا فوضعه أمام الشيخ وصبّ الشاى وأعطى الشيخ وعاطف ثم ظلّ واقفًا وكأنه ينتظر شيئا حتى جاء صوت الشيخ أشرف...

الشيخ أشرف: – فين ياصبرى الدخان!

صبرى: – جاهز يا عم الشيخ

وأخرج من سيّالة الجلباب علبة سجائره وفتحها وأخرج منها عدة سجائر ملفوفة فيما يبدو أنها سجائر حشيش.

الشيخ أشرف: – خذلك سيجارة يا أستاذ عاطف احبس مع الشاى

فنظر إليه عاطف باستغراب... آخر ما كان يتوقعه...

الشيخ أشرف: – الحشيش مش حرام إمسك

"مادًّا له يده بالسيجارة فأخذها عاطف وعلّق مستنكرًا"

عاطف: – أنت هتحلل الحرام كمان على هواك

الشيخ أشرف: – أعوذ بالله العلى العظيم استغفروا الله

بص يا أستاذ عاطف أى نبتة خارجة من الأرض مستحيل يكون فيها ضرر

ربنا مابيضرّش حد إحنا اللى بنضرّ نفسنا.

طب أنت عمرك سمعت عن محشش قتل – سرق - اغتصب؟!

الحشيش دة أصله بتاع الناس المبسوطة والدليل إنك مثلًا تسمع نكتة أولها مرة واحد محشش فى آخرها تصوّت ضحك.

اشرب يا راجل اشرب ما انت بتشرب ولا هو جدل وخلاص!

أخذ عاطف السيجارة وأشعلها ثم بدأ يسحب نفسًا يليه آخر ويحتسى الشاى، وفيما يبدو أن الحشيش من النوع الفاخر فقد باغت عاطف إحساس مفاجئ بالهبوط والتوتر وارتجفت يداه فوضع كوب الشاى على الترابيزة وحاول تجميع قواه.

كان الشيخ أشرف قد عمّر رأسه بعدة أنفاس هو الآخر وفاجأ عاطف الذى يجلس وحده مع الشيخ بعدما خرج صبرى وأبو خالد.

الشيخ أشرف: - حلوة الدخانة دى

عاطف: - آه... أوى

الشيخ أشرف: - زى اللى أنت شربتها أنت وصالح

عاطف: - شربتها أنا وصالح**!** إمتى**!**

الشيخ أشرف: - يوم ما نمتوا تحلموا وتردّوا على بعض

عاطف: - هو دة كان حلم ولا كان من الحشيش

الشيخ أشرف: - لأ...

التانى اللى شربتوه ليلتها استروكس عملّك خُرف وتهيؤات وهلاوس وإنتوا ضخّمتوا الحدث.

عاطف: - يعنى لا رؤية ولا علامة ولا كل الكلام دة... طلع استروكس**!**

الشيخ أشرف: - إسمع يا عاطف... صلى على النبى

عاطف: - عليه الصلاة والسلام

الشيخ أشرف: – أنت مش بتدّور عليا عشان أقولك إحنا عملنا إيه ولا أنت شربت المقلب إزاى أنت المفروض تحمد ربنا أنت ما خسرتش حاجة.

أنت بتدوّر عليا عشان عجبتك اللعبة وحسّيت بتفاهة اللى أنت كنت بتدبّره بقالك سنين عشان تاكل حق إخواتك وشغّلت دماغك ولاقيت إن أنت ممكن تكسب أدّه ثلاث أربع أضعاف فى شهرين ثلاثة بس لو تعرف أسرار الشغلانة.

الشيخ: – فأنا هوفّر عليك اللفة الكبيرة دى

إحنا كل أسبوع بنعمل ليلة الجمعة حضرة... أنت نشّن على زبون من معارفك يكون تقيل ومقتدر ماتفرقش متديّن ولا مش متديّن المهم يكون غنى وعنده حاجة منغّصة عليه عيشته عنده حد مريض مابيخلفش مراته حرنانة عليه أمه مشلولة ماضيه شمال وهاته معاك

عاطف: – بس كدة!

الشيخ أشرف: – لأ... ولو عنده آثار أو شاكك إن بيته أو أرضه فيها كنز

واحدة جوزها هاجرها متجوز عليها.. مطلّقة وعاوزة

ترجعله... وركّز

مع الطمّاعين.

عاطف: - وبعد ما أجيبهم فى الحضرة؟ إيه اللى هيحصل؟

الشيخ أشرف: - هتعرفنى ع اللى معاك بصفتى الشيخ اللى هحلّله مشكلته بإذن الله

والباقى علينا إحنا... وأنت هتتعلم كل الأسرار ومش بعيد نلاقيك شيخ مشايخ عن قريب

وكل زبون هتجيبه بعد مصاريف الشغل الباقى بالنص بينّا وبينك وأنت ما شاء الله كل معارفك معلمين وتجار وناس مرتاحة.

أنا هقولك على حاجة...

عارف البت اللى كنت أنت مصاحبها دى لازم تدوّر عليها وترجّعها دى برضو ممكن توقعلنا زباين حلوة ودى والوسط بتاعها أحلى شغل.

عاطف: - إزاى بقى!

الشيخ: - عندها المجروحة والمدبوحة والمتخانة والعيّانة والعانس والبائس واللى نفسها وبتحلم دة بير يابا بس أنت إفحت

وأهو كله هيبقى قدامك وهتتعلم الشغلانة بس خد وقتك لغاية ماتجيب آخرها وكدة كدة عدّادك شغّال من أول زبون النص بالنص.

غادر عاطف منزل الشيخ أشرف وقد أوصله أبو خالد إلى سيارته الذى ظلّ طول الطريق يحكى له عن جولات الشيخ مع زبائنه من علية القوم وذكر له بعض المبالغ التى ربحوها فى عملياتهم.

نزل عاطف ركب سيارته وظلّ طول الطريق يحدّث نفسه...

كيف استطاع هذا الشخص أن يعرّينى أمام نفسى هكذا فقد علم نيّتى الدفينة فى البحث عنه والتى أحاول أن أهرب منها دومًا.

كيف استطاع أن يقرأ أفكارى وكأنه يقرأ من كتاب أمامه

وكيف تجرّأ هذا الوقح النصّاب أن يعرض عليا أن أصبح مستوظفًا لديه فى كوبانية النصب التى يرأسها وأجلب له زبائن لينصب هو عليهم ويدور عليّا الدور وأصبح فى شخصية مجذوب أو بندول أو مثل الشغّالة صبرى.

كان لا بد أن لا أسكت له حينما قال ذلك.

ظلّ عاطف فى هذه الحالة حتى وصل بيته، كان الجميع نياماً، دخل إلى غرفته ودفن نفسه تحت البطانية، كان الحشيش ما زال يلعب برأسه، ظلّ يؤنّب نفسه تارة وتارة يتذكر ويسترجع حتى دخل فى

نوم عميق بأثر المخدر، وما أن استيقظ من النوم وقبل أن يقوم من سريره إلا وأمسك بهاتفه وبحث فيه عن رقم ثم اتصل به.

عاطف: - السلام عليكم

صباح الخير

المتحدث: -...

عاطف: - هى الحضرة الجاية إمتى وفين!

المتحدث: -... ...

عاطف: - لا أبدًا أصل المعلم هلال كان حكالى على موضوع كدة وطلب منّى أساعده فأنا بفكر أجيبه معايا أعرّفه عليك.

المتحدث: -...

عاطف: - ماشى يا عم الشيخ... توكلنا على الله

هظبّط معاه... وأديك خبر

فقد انتصر أشرف فى النهاية ونجح فى تجنيد عاطف لصالحه وأن يبقى أحد رجاله ويفتح عن طريقه سكك جديدة تدر عليه زبائن جدد من أوساط مختلفة، لتستمر متعة أشرف وأمثاله فى اصطياد ضحاياهم من الطماعين أو الجهلة والاستيلاء على أموالهم برضاهم.

أما بالنسبة لعاطف لم يكن غريبًا عليّ أنه سيقبل أن يصبح كما اختار لنفسه معاونًا لنصّاب

فإن أمثال عاطف ما يهمّه هو أن يمتلك المال ولا يهم مصادره أو شرعيته، تلك الأمور ليست بحسبانهم.

ودائمًا وأبدًا يبحث النصّاب عن طمّاع، فالنصّابون بخير ما دام هناك طماعون...

تمت

فصلة للنشر والتوزيع

Fasla Publishing & Distribution

تواصل معنا :

01067000701

E-mail:-Fasla.Pub@Gmail.com

Facebook .Com/Fasla .Pub